السنة السادسة		العدد ٩		١ ايار سنة ١٩٠٣

المشرق

تذكار
المئة السادسة عشرة
لاستشهاد القديس جرجس

لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي

في هذه السنة يقع تذكار المئة السادسة عشرة لاستشهاد القديس جرجس البطل الشهير الذي لا يزال اسمهُ حيًا في اصقاعنا الشرقيَّة. ففي هذه السنة احبَّ البعض من كاثوليك اوربَّة ان يقيموا الحفلات الدينيَّة ذكرًا لهذا الشهيد وتنويهًا بشهامتهِ وتحمُّسهِ للدين اذ أهرق في سبيلهِ دمهُ الزكيّ وفضَّل اصناف العذابات على عبادة الاصنام. وقد رأينا نحن ايضًا ان نخصّص هذه الاسطر الوجيزة بمديح وليّ الله ذاك المتجنِّد للمسيح الذي شرَّف بلادنا باعمالهِ الخطيرة وجهادهِ للربّ

١ ما تقرَّر من ترجمة القديس جرجس

في السنة ٤٩٤ م فحص الحبر الروماني البابا جلاسيوس القديس عدَّة كتب كان يشيعها الاراطقة على رؤوس الملا او يتداولها المؤمنون فينسبونها زورًا الى الرُّسل او الى خلفائهم فامر أن تُعتبر هذه التآليف بين الكتب غير القانونيَّة التي لا تُفتي الكنيسة بصحَّتها. وكان من جملة هذه المصنَّفات « اعمال القديس جرجس واستشهادهُ ». فيظهر من هذه الفتوى انَّ اخبارًا كثيرة بل خرافات عديدة عُزيت لهذا الشهيد مذ ذاك العهد العهيد

ومن ثمَّ يصعب على المنتقد ان يميّز بين اخبار القديس جرجس المقرَّرة الثابتة وما تناقلتهُ أَلسن القصَّاصين في هذا الشأن. على انَّ من اعمل الفكرة في الآثار القديمة وتآليف المؤرخين الأثبات امكنهُ ان يستخلص من كلامهم بعض الشذرات التي تُطلعنا على اخصّ اعمال هذا القديس العظيم

افادنا اوسابيوس القيصريّ في الكتاب الثالث من تاريخهِ الكنسي انهُ لمَّا اشتدَّ ديوقلسيانوس القيصر على النصارى وأبرز في ذلك امرًا عُلّق على جدران البلاط الملكي في نيكوميديا حاضرة المملكة تقدَّم احد قوَّاد الجيش ومزَّق هذا الكتاب ولم يكترث لان يعرّض بنفسهِ لغضب القيصر. فنالهُ بسبب فعلهِ من النكال وضروب العذاب ما احتملهُ بطيب القلب مسرورًا فرحًا فمات في سبيل ايمانهِ. وقد اثبت هذا الامر ننسنهُ أكتنسيوس الكاتب الشهير وكان كلٌّ من المؤرخين اوسابيوس ولكتنسيوس معاصرَين لديوكلسيانوس قريبين من نيكوميديا. واما الثاني منهما كان وقتئذٍ مقيمًا في هذه المدينة واصفًا لما شاهدهُ بالعيان وقد سكت كلاهما عن اسم هذا الضابط الباسل الذي لم يبالِ بالموت ليذبَّ عن حقوق قومٍ ابرار لم يجترحوا اثمًا الَّا تبذهم لعبادة الاوثان. وقد وقع استشهادهُ في السنة ١٩ لديوكلسيانوس الملك اي السنة ٣٠٣ للمسيح. لكنَّ التقليد المتواصل بين نصارى الشرق انَّ هذا القائد انَّما هو القديس جاورجيوس او جرجس الذي كان منتظمًا في سلك الجنديَّة يخدم ديوكلسيانوس الملك وهو يومئذٍ في شرخ الشباب لا تتجاوز سنُّهُ السنة الثالثة والعشرين. وعليهِ فيكون مولدهُ في السنة ٢٨٠ للمسيح وقد رجَّح البولنديون هذه الرواية في المجلَّد الثاني عشر من تراجم الابرار في تاريخ اليوم الثالث والعشرين من نيسان حيث استرسلوا في الكلام عن هذا الشهيد ونظروا بعين الانتقاد والتروّي في كلِّ ما كُتب عنهُ

وممَّا تقدَّم ترى خطأ بعض علماءِ عصرنا الذين نسبوا الى الوهم والتخيُّلات مُجمل اعمال القديس جرجس بل انكروا وجودهُ في عالم الكون. فان العاقل لا يرمي الكلام على عواهنهِ وانَّما يتبصَّر في الامور فيفرز بين الغثّ والسمين ويتبيَّن الصفيق من السخيف فيرضى بالحقّ وينبذ الباطل

٢ انتشار اسم القديس جرجس وكراماتهُ

وما يزيدنا ثقةً في عظم القديس جرجس وسموّ مرتبتهِ في الجنديَّة وخطر اعمالهِ

انَّ اسمهُ نال من الشهرة في الخافقين ما لا يمكن ادراكهُ لولا حقيقة هذه الاعمال الشريفة. ولم يحظَ هذا الشهيد بهذا الصيت المستفيض بعد وفاته بقرون عديدة بل بعد استشهاده بقليل. وممَّن سبق وكرَّمهُ قسطنطين الملك الذي شيَّد لذكرهِ كنيسةً في لُدَّ من اعمال فلسطين حيث نُقل قسمٌ من ذخائرهِ ودُفن باكرام وقد اقام قسطنطين الكبير نفسهُ كنيسةً أُخرى في القسطنطينيَّة على اسم هذا القديس واغناها ايضًا بشيء من عظامهِ

وفي هذا القرن الرابع اخذ النصارى يحجُّون الى قبر الشهير العظيم (μεγαλομάρτυρ) اللابس الظفر (τροπαιοφόρος) وهو الاسم الذي عُرف بهِ فيتبرَّكون بزيارتهِ ويتوسَّلون الى الله عزَّ وجلَّ بشفاعتهِ المشفَّعة. ويشهد على انتشار اسمهِ كنيسةٌ من اقدم كنائس النصرانيَّة بُنيت على اسمهِ سنة ٣٦٧ في البثنيَّة بمدينة شقَّة من اعمال حوران (١). والمرجَّح انَّ بلاد الكرج اتَّخذت مذ ذاك العهد القديس جرجس كشفيعها الوطني بعد تنصُّرها فدُعيت جيورجيا. وكانت تُدعى قبل ذلك باسم الهِلِّيبنتوس

ولنا في القرن الخامس شواهد أُخرى يُستدلُّ بها على مقام القديس جرجس في الكنيسة الشرقيَّة خصوصًا منها انَّ التقويم الاوَّل الذي رُوِيت فيهِ اسماء القديسين واعياد النصرانيَّة يذكر اسم القديس جرجس الشهيد. وهذا السجل كُتب بالسريانيَّة سنة ٤١١ للمسيح وهو اليوم في خزانة المتحف البريطانيّ في لندن وقد نشرهُ بالطبع العلاَّمة رَيت (Wright) المستشرق الشهير. وفيهِ ايضًا بُنيت على اسم الشهيد كنيسة ازرع في حوران وتعدَّدت في القسطنطينيَّة الكنائس لذكرهِ حتى بلغت فيها ستًّا بتوالي الزمان

وفي القرن السادس اخذ اسم القديس جرجس ينتشر في بلاد غالية فشيَّدت الملكة القديسة كلوتلدة قرينة كلوڤيس ملك فرنسة الاوَّل كنيسة لاكرام القديس جرجس سنة ٥٠٩ ولم يلبث ان يقتدي بها اعيان غالية وملوك المانية والنمسة وانكلترَّة واسبانية حتى لو اردنا ان نُعدِّد كل ما بُني على اسم الشهيد من الكنائس وما أُنشيء من المقامات لأدَّى بنا الكلام الى الاطالة المملَّة

---

(١) راجع مجموع الكتابات اليونانية (CIG العدد ٨٦٠٩) وكتابات وادنتن (١٩٨١, ٢٠٢٨, ٢٠٩٢, ٢١٥٦, ٢٢٥٨, ٢٤٩٨)

ولمَّا كان عهد الصليبيين زاد اسم القديس جرجس شيوعاً وعاد الانكليز بشيء من ذخائره الى بلادهم فاتخذوهُ شفيعاً لاوطانهم وابتنوا اديرةً على اسمهِ وجعلوا عيده من الاعياد الحافلة وتُرى صورتهُ حتى اليوم على نقودهم. وكذلك فعل ملوك اراغونية والبرتغال وامراء جنوة فاتخذوا القديس جرجس كشفيع لممالكهم. وللانكليز وسام القديس جرجس وهو الحامي لشارتهم الشرقيَّة المعروفة بربطة الساق. وللنمسويين رتبة فرسان تُعرف برتبة القديس جرجس. وقد احدث قياصرة روسيَّة رتبةً شرقيَّةً على اسم الشهيد عينهِ

وقد شاع ذكر القديس جرجس عند المسلمين. وهم يكرمونهُ كنبي ويروون قصَّتهُ في كتبهم ويدعونهُ باسم الخضر وقد وصفهُ الثعلبيّ في كتاب قصص الانبياء بقولهِ (ص ٣٧٧): « وكان جرجيس عبدًا صالحًا من اهل فلسطين قد ادرك بقايا من حوَاري عيسى بن مريم عليهِ السلام وكان تاجرًا كثير المال عظيم الصدقة ». وللمسلمين في امكنة عديدة مشاهد ومزارات ومساجد على اسمهِ يرتقي بعضها الى زمن قديم. كفانا ذكر المسجد الذي يُرى شرقي بيروت قريبًا من نهرها (راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي سعينا بنشرهِ ص ١٦ و ٢٧١)

٣ تنين القديس جرجس

لا شيء في بلاد الشرق اشهر من تنين القديس جرجس ولا تكاد ترى لهُ صورة الَّا تمثّل مع شخصهِ الكريم صورة تنين هائل يصرعهُ ويشكّهُ برمحهِ الاصمّ. وقد روى ذلك صاحب تاريخ بيروت بوجيز الكلام فقال (ص ١٦):

« وقد زعم النصارى ان في القدم خرج في بيروت تنين عظيم فقرَّر اهل بيروت لهُ في كل عام بنتاً يخرجونها اليهِ اكتفاء لشرّهِ فوقعت القرعة في سنة من السنين على صاحب بيروت. فاخرج بنتهُ ليلًا الى مكان موعد التنين فتوسَّلت بالدعاء الى الله فتصوَّر لها مار جرجس القديس. فلما جاء التنين خرج عليهِ مار جرجس فقتلهُ فعمَّر صاحب بيروت في ذلك المكان كنيسةً بالقرب من النهر. والنصارى تصوّر هذه الكائنة في سائر كنائس بلادهم قلَّ ما يخلو منها كنيسة . . واهل بيروت المسلمين والنصارى يخرجون في ذلك العيد الى نهر بيروت ويسمَّى عيد النهر وهو من البدع . . . والعيد المذكور دائمًا يكون ثالث وعشرين نيسان »

وقد بحث البولانديُّون عن اصل هذه القصَّة فلم يجدوا لها ذكرًا قبل القرن الحادي

عشر. وقد رجَّح المنتقدون انَّ هذه الحكاية انما هي رمزٌ فقط يُستدلُّ بهِ على ظفر القديس جرجس بالوثنيَّة وعبادة الاصنام الممثَّلة بالتنين. اما الفتاة فهي اشارة الى المدينة او البلاد التي هداها القديس الى الايمان وخلَّصها من مضرَّة الشرك ووخيم عقباه. وهذه هيئة التنين الرمزيَّة تراها في صور كثيرين من القديسين. وقد اخبر اوسابيوس القيصري في تاريخ قسطنطين الكبير انَّ هذا الملك امر بان يُقام لهُ تمثال وتحت اقدامهِ تنين تنويهاً بانتصارهِ على عبادة الاصنام. وكذلك اعلمنا المقريزيّ في الخطط (٢ : ٥٠٦) انَّ الشهيد تادروس يُدعى عند الاقباط قاتل التنين. وهم يصوّرونهُ صارعاً التنين. وعلى هذه الصورة الرمزيَّة اختلقت العامَّة قصَّة القديس جرجس وابنة الملك كما تروى اليوم بالشعر العامي المعروف بالمعنَّى. وقد وجدنا منها نسخاً عديدة خطّية متشابهة. الَّا نسخة منها هي اوسع من الانشودة المعروفة هدانا اليها حضرة الخوري بطرس حبيقة البسكنتاوي وهي مكتوبة بالكرشونيَّة في جملة اناشيد يرتقي عهدها الى نحو مئتي سنة. وقد قابلنا بين هذه النسخ فاخترنا منها ما يلي :

مديحة مار جرجس

١ على الاتكال ازبأني الذي انعم وأعطاني
أبدي امدحْ في الحاني في قولٍ ثبوت روحاني

٢ بمار جرجس الشهيد امدحْ وان مدحه لايق ويصلحْ
ومالهُ عليَّ قيل اوضحْ من الفضل والاحسانِ (١

٣ هو لي حارس من صغري وقد طلبتهُ في كلّ عمري
واستجابني بكل امري في البحور والبلدانِ

٤ وجدت هذا الشهيد مكرومْ عند السريان وعند الروم
وكتبوه في مصحف مرقومْ يحوي اشكالا والواني (٢

١) والمعروف في انشودتهِ الشائعة :
مار جرجس الشهيد امدحْ في مدحه لائق واصلحْ
سرُّه علينا قد باح من جوده والاحسانِ

٢) وفي النسخة المطوَّلة يلي هذا الدور سبعة ادوار اخرى لا يُستخلص لها معنًى سوى انَّ الوالي الذي استشهد في ايَّامهِ القديس جرجس كان يُدعى دديانوس وانَّ البابا فيلاجيوس كتب قصَّة الشهيد ودعا والدهُ غريفوس

٥ وعلى هذا الاساس نقول في مارجرجس قول مقبول
ومن كُتبهم اللّي غير منقول معقود فوق الاركان

٦ مدينة في بلاد سورياً تسمّى قافودوقياً
اصل جرجس كان فيها اصل فاخر ذو شان

٧ ابوه كان بالدفتر مكتوب وبجملة مناصب محسوب
بوقت الحرب يذهب مطلوب بالعسكر الروماني

٨ انتقل في الحروب ومات بناموسه بين السادات
وورَّث لجرجس حسرات ولبيته والاوطان

٩ جرجس وامُّهُ ارتحلوا من بلدهم انتقلوا
بفلسطين واللدّ دخلوا فانسرُّوا بالبلدان

١٠ رزق وبساتين اقتنوا ومنزل عامر ابتنوا
ومواشي وفدّان خزنوا جملة غلمان وصبيان

١١ كان جرجس ماشي بآداب ومن صغره ما كان ينعاب
مؤمن بالمسيح ومواظَب بامور دين النصراني

١٢ ماتت أُمُّه صار يتيم بقي وحده بلا حميم
وبعمل الخير كان مقيم متكل على الرحمان

١٣ وضع رزقهُ عند انسان بقلبُه محبّة للايمان
وجمله على الغلمان واوصاهُ بالاحسان

١٤ ثمَّة جرجس المنعوت اخذ لهُ هدايا وقوت
وجاء لمدينة بيروت لزيارة السلطان

١٥ ولمَّا كان في ذاك الحين في بيروت ظهر تنّين
ريحتُه تهلك العالمين ويُعرف باسم الثعبان

١٦ على المدينة كان يهجم ولوسط البوّابات يلطم
يجعل الناس بتوهُّم بعقل طائر حيران

١٧ واجتمعوا اهل الاشوار لعند الملك لجوّا الدار
عيّنوا شور في ما صار لقطع شرّ الشيطان

١) ويروى: في بيروت جاؤوا سكنوا وعيبتهم الاوطان

١٩ جملوا لهُ في اليوم غنمتين   بكلّ نهار يأكل نوبتين
وفي الآخر طلب بنتين   اعطوه غنمه واناني

٢٠ طاعوا الشوره بما كان قال   ودارت هذه الاحوال
وقطماً لم يرضَ بالمال   لكن بصريخ واحزانِ

٢١ كان لصاحب بيروت صبيَّة   بالحسن والجمال بهيَّة
وحدها عندهُ مكفيَّة   عن الشمس والمرجانِ

٢٢ وبعد ما مضى من الزمان   جا دور بنت صاحب البلدان
بقي بامره كالحيران   ومن رعيَّته فزعانِ

٢٣ جاؤوهُ في بعض الايام   واجتمعوا عليهِ العوام
قالوا لهُ لا تخالف كلام   عاملنا بفرد ميزانِ

٢٤ انت الريّس جا دورك   وما احد خالف شورك
قدّم بنتك بدستورك   قدّمها للثعبانِ

٢٥ ابوها بكي وتفكّر   وعلى بنتهُ صار يتحسّر
وحدتُه عنها كيف يظهر   صار حالهُ كالسكرانِ

٢٦ قال يا من يأخذ مالي   ويعفي عنّي وعيالي
يخلّص بنتي وآمالي   ويكسب شكري ورضواني

٢٧ قالوا لُه لا تتحسّر   ومن ذا الحكم مالك منصر
اعيانك نصبوا لك الشرّ   ان ما رضيت بالحدثانِ

٢٨ قام ابوها وهندسها   واحسن ملبوس لبّسها
وجمل التاج على راسها   والصرخات بكل مكانِ

٢٩ راحوا معها للموضع   وكل واحد منهم يرجع
ابوها وقف يتطلّع   على بنته والثعبانِ

٣٠ طالعين الناس تتفرّج   وجرجس معهم يتدرّج
راكب فرس كالاعوج   عينهُ تقدح بنيرانِ

٣١ اقبل اليها الخيّال   والنسا تنظر والرجال
وفي إيده رمحُ الابطال   يتبختر على الحصان

٣٢ قال لها يا صبيه مالك   اخبريني على احوالك
لماذا شبك وعيالك   واقفين فوق الحيطانِ

٣٣ قالت لهُ يا شابّ اهربْ ما فيك تحمي ولا تضرب
تتسلك بالحَيْل لا تحسبْ انا قوت الثعبانِ

٣٤ قال يا جارية لا تخافي وبعوضك انتِ قافي
عن قتله ما بقيتْ عافي انا جرجس النصراني

٣٥ بينما الجنديُّ الصالحْ يرصد الوحش الجانحْ
تقرَّب للشاطي سابحْ وفتح فمه للطغيانِ

٣٦ اسرع جرجس وتقدَّم اليهْ ورفع رمحهُ وهجم عليهْ
وضربهُ ضربة بين عينيهْ والرمح من خلفه داني

٣٧ مار جرجس في ذاك الحين بسيفه ذبح التنينْ
جابوا لهُ سبع فدادينْ جرُّوه تحت الحيطانِ

٣٨ وكان الفارس آمَنهم وبقتل التنّين طمّنهم
وعشرين الف (١ عمَّد منهم غير النسا والصبيانِ

٣٩ قام عندهم مدَّة ايَّامْ اعطاهم علم وفهم تمامْ
وحذَّرهم من الاصنامْ وعبادة الاوثانِ

٤٠ واهل بيروت الأعلامْ بنوا هيكل باهتمامْ
على اسم البتول مرت مريمْ ومار جرجس الطوباني

٤١ في الوطى بعيد من الوعرْ بقرب مكانهُ جاري النهرْ
وخدمته مقومة بالشهرْ الملكي والموراني (٢

٤٢ يجيبوا لهُ الشمع والبخورْ هدايا مع قربان ونذورْ
ومن كثرة توقيد النورْ اسودَّت كلّ الجدرانْ

٤٣ نطلب من الله الجبَّارْ يغفر خطايا الحضَّارْ
وينقذهم من عذاب النارْ بشفاعة ذا النوراني

٤ استشهاد القديس جرجس

واعجب من حكاية التنين السابق ذكرها ما يروى عن استشهاد القديس جرجس واصناف العذابات التي كابدها. فيزعم البعض ان هذا الشهيد كان خرج الى احد ملوك الموصل وبكَّتهُ على عبادتهِ لصنم افلُون. وانَّ الملك غضب عليهِ واخترع لعذابهِ كلَّ ما يخترعهُ عقل بشر للتمثيل والنكال فخدش جسمهُ بامشاط الحديد والمسامير والمناشير وألقاهُ

١) ويُروى: سبعين الف ٢) يريد المحلّ المعروف اليوم بعمّار الخضر (راجع تاريخ بيروت ص ٢٧١. ومن ثمَّ يظهر انَّ هذا النشيد وُضع قبل سنة ١٦٦١)

في ثور من نحاس مُحمى وامتحنهُ بالنار والسباع الضارية والشنار القاطعة والمياه المغرقة والجوع والعطش الى ان مات ثلاثاً ثم اقامهُ الله من الموت ثلاثاً ودامت عذاباتهُ سبع سنين انتصر فيها على سبعين ملكاً وانتهت حياتهُ بموته الرابع الاخير. الَّا انهُ في اثناء ذلك صنع من المعجزات ما لا يُحصى كإحيائهِ ثورَين لامرأة عجوز وبعثهِ للاموات وجعلهِ خضراء اربعة عشر كرسياً مع دعامة باب كساها باوراق وزهور اشجارها الاصليَّة وعجائب اخرى عديدة اثار بها عقول كثيرين فردَّهم الى الدين المستقيم من جملتهم اسكندرة الملكة. ولكلّ هذه الكرامات تفاصيل واسعة نقلها الثعلبي في قصص الانبياء (ص ٣٧٧ — ٣٨٢) وابو جعفر الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن القسم الاوَّل ص ٧٩٥ — ٨١٢).

ولنصارى القبط في ذلك ميمرٌ يقولونهُ يوم عيدهِ ونظنهُ لبطرك النساطرة ايليَّا الثالث المعروف بابي حليم ابن الحديثيّ وقد طبعوهُ في جملة خطب هذا الكاتب الشهير. فنرويه هنا ليطَّلع القرَّاء على كثرة العجائب التي نُسبت للقديس جرجس تعظيماً لهُ

❊ خطبة تقرأ في عيد الشهيد العظيم مار جرجس ❊

« الحمد لله ذي المنَّة والاحسان. والنعمة والامتنان. الذي احسن الى خلقهِ وعبيده. فبذل عن خلاصهم دم ابنه وحيده. ووضع لنا بيعاً تُتلى علينا فيها اقاويله الحيية. وجعل لنا رعاة ترشدنا لسبل تعاليمهِ المرضية. وانتخب الانبياء والرسل الابرار. والشهداء والقديسين الاطهار. لنكون نحن لهم تابعين. ولوصاياهم ومواعظهم سامعين. ولما يشيروا به علينا طائعين. وعلى كل الشدائد صابرين. الذي جعل من نستشفع به عندهُ. من اكبر اصفيائهِ واعظم جندهِ. كوكب الشهداء. فخر الابرار. تاج المسيحيين رئيس الاطهار. الامير المنتخب البطل الكرَّار. نجم الصبح الزاهر الجليل المقدار. مُقدم الشهداء. ماري جرجس الاسفهسلار(١. قامعُ قوة الشيطان ومبكتُ الفجَّار. معينٌ من يستشفع بهِ في الليل والنهار. مغيثٌ من يقصدهُ في سائر الاقطار. منجدُ الخائفين بشفاعتهِ في البراري والبحار هذا الذي احبَّ جنديَّة السماء اكثر من ولاية فلسطين. هذا الذي اقام في العذاب مدَّة سبع سنين. هذا هو العظيمُ في جنسنا. هذا الذي اكمل جهاده على اسم ربنا. هذا الذي يجب ان نتخذهُ شفيعاً لنا. هذا هو القديس القبادوقي الفلسطيني جاورجيوس الذي بكت الملك الكافر الشرير داديانوس(٢. هذا الذي احتمل من العذاب وصار

١) الاسفهسلار لفظة عجميَّة مركَّبة من كلمتين (سپاه) جيش و(سلار) قائد ٢) لا نعرف ملكاً بهذا الاسم

جنديًا لرب الارباب هذا الذي اظهر للسبعين ملكًا العجائب والآيات. واقام لهم من تراب الطافوس(١ جماعةً من الاموات. هذا الذي بصلاته على الكراسي الخشبية اورقت وازهرت. بعد ان قُطعت وعُملت كراسيَ ويبست. هذا الذي بطلبته في بيت الارملة اورقت الخشبة اليابسة واثمرت. وصارت بعد ان تهرَّت بالسوس وعليت(كذا). هذا الذي اشهر الامانة والدين العظيم باسم الربّ يسوع. هذا الذي قُتل على اسم ربنا ومات ثلاث دفوع. هذا الذي اظهر الآيات والاعاجيب الحسان. هذا الذي احبهُ الله بيان. هذا الذي كسر قوة الشيطان. هذا الذي نصر الامانة وابطل الطغيان. هذا الذي انار عيني ابن الارملة بصلاته. وجعلهُ يمشي ويتكلم وتُسمع اصواته. هذا الذي ضرب برجلهِ الارض فانشقّت وافترقت. وغرّق الاوثان فيها وضربها ثانيةً فانغلقت. هذا الذي سلك في طريق الجهاد احسنَ السلوك. هذا الذي بصلاته نزلت نارٌ من السماء واحرقت سبعين ملكًا من الملوك. هذا الذي قال لهُ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. اني انتخبتك مثل بولس الفصيح. فتشهر الامانة والدين الصحيح. وقد اعطيتك السلطان على السبعين ملكًا وكل مَن حولهم فيما اردت وقات يحلّ بهم. وستُعذَّب على اسمي منهم وتموت ثلاث دفعات. وفي الدفعة الرابعة تكون معي في ملكوت السموات. فمن صبر يا احبائي على ما صبر هذا عليه. ومن نال من الشهداء الاطهار ما وصل هذا اليه. هذا الذي جعل الله مقصدهُ وعمادهُ فصار اكبر شهدائهِ واجنادهِ. وقد كمّل سعيه واتمّ جهادهُ. ونال غاية قصدهِ ومرادهِ. نقلهُ الله الى الملكوت الابديّة السمائيّة. واعطاهُ أفضل النعم السرمديّة. فطوباهُ ثم طوباهُ لقد عظّم الاله محلّ بهائهِ. وشرّف اسمهِ وثناءهُ. واشرق نوره وضياءهُ. واخضع لشفاعته احباءهُ. ورفع الله مرتبتهُ في اعلى سمائهِ. وشرفهُ على كثير من اوليائهِ واصفيائهِ. وجعلهُ نجدةً لسائر البشر. ومعونة لقاصديهِ في الإقامة والسفر. ومحبيًا لاصحاب الطلبات باسرع الشفاعات. واطمئنانًا للخائفين والمفزوعين (كذا). ومصباحًا للغرباء والمسافرين. ونصرة للمظلومين. وقوة للمغلوبين. ومنجيًا من سائر الامراض والمصائب. ومخلصًا من الاحزان والنوائب. ومنحهُ عمل الآيات الباهرة والقوات والعجائب الظاهرة. من إخراج الشياطين وشفاء المرضى والمصابين(٢. ان قصدتهُ في البحار العميقة انجدك. او في اللُّجج الغريقة عضدك. او في البراري المقفرة نصرك

---

١) الطافوس كلمة يونانيَّة معناها القبر ٢) وفي الاصل: المتصابين

او في الاماكن المفزعة ايدك . او في الطريق الخفيَّة امسك بيدك . او في الظلمات اسرع لقصدك . مغيثُ المستغيثين بمعونته . مجيرُ المستجيرين بشفاعته . سامعُ اصوات الطالبين اليه . عاضد من قصدهُ والتجأ اليه . الربُّ يعضدنا بشفاعته اجمعين . ويشمل بنصره سائر المؤمنين . ويغفر لمن يقدم في بيعته نذورًا وقرابين . ومن يترأف على الفقراء والمحتاجين . ومن يتصدَّق على الغرباء والمعوزين . ويحفظنا من التجارب بطلباته . وان يديم لنا وعلينا حياة السيد الاب البطريرك انبا (فلان) بشفاعة الرسل والقديسين وسائر الآباء والمنتخبين امين » انتهى

فمن كل ما سبق ترى ما نالهُ القديس جرجس من الفخر والعزّ في انحاء المعمور حتى انَّ اخبارهُ شاعت بين العامَّة والخاصَّة ونُسب اليه من الخوارق ما لا يقبلهُ العاقل اللهمَّ الَّا ما ثبت منها بالنظر والتاريخ الصادق

كتاب

بُرْء الساعة لمحمَّد بن زكريا الرازي

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ

الدكتور كيث مدرّس الصيدلة في المكتب الطبيّ الفرنسي

ان ابا بكر محمد بن زكرياً الرازي هو احد مشاهير اطباء العرب ولد في النصف الثاني من الجيل التاسع للميلاد في الريّ كما يدلُّ على ذلك اسمهُ وتوفي في سنة ٣٢٠ ﻫ (٩٣٢ م)

وقد اشتهر بتآليفهِ العديدة منها كتاب الحاوي وكتاب الفصول وكتاب منافع الاغذية ودفع مضارّها وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ . ولهُ ايضاً مصنَّفات اقلّ منها اهميَّة ولكنها لا تخلو من فائدة منها كتاب بُرْء الساعة الذي وصفهُ المشرق سابقاً (٤ : ٧٢٢) في جملة مخطوطات مكتبة كليَّة القديس يوسف في بيروت . فرأيت في نشر هذا الأثر فائدةً للاطبَّاء . واعتمدتُ في ذلك على النسخة السابق ذكرها (M^1) وقابلتها على نسختين اخريين احداهما في المكتبة نفسها (M^2) والثانية تُصان في المكتبة الخديوية (C) مبالغةً في الضبط مع الدلالة على اختلاف الروايات في ذيل الجلَّة ومن هذا التأليف نُسخ قليلة في اوربة نخصّ منها بالذكر نسخة باريس . وفي الوقت ذاته اني انشر في مجلَّة اوربيَّة ترجمة هذا الكتاب بالفرنسية مع حواشٍ عديدة تنوّه بفضل مؤلفهِ ذاك الطبيب النطاسي الذي امتاز بين اطباء العرب

---

١) وفي هذه المناسبة اشكر محمد افندي امين في القاهرة واحد تلامذتي الادباء في كليتنا الذي بهمتهِ تمكنت من الحصول على نسخة نُقلت عن نسخة المكتبة الخديوية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي رضي الله عنهُ كنتُ عند الوزير ابي قاسم عبد الله رضي الله عنهُ فجرى بحضرته ذكر شيء من الطبّ وهناك جماعة ممّن يدّعيه فتكلّم واحد منهم بمقدار ما بلغهُ في ذلك علمهُ حتى قال بعضهم: « ان العلل من موادّ تكون قد اجتمعت على مرّ الأيام والشهور وما يكون هذا سبيلهُ كونه لا يكاد ان يبرأ في ساعة بل يكون في مثل ذلك من الأيام والشهور حتى يتمّ برءُ العليل » . فسمع كلامه جماعة مَن حضر من المتطبّبين كل ذلك يريدون به الذهاب والمجيء الى العليل واخذ الشيء منهُ . فعرّفتُ الوزير ان من العللما تجتمع في الايام وتبرأُ في ساعة فتعجبوا من ذلك . فسألني الوزير ان اؤلف فيه كتاباً يشتمل على جميع العلـل التي تبرأ في ساعة وهو مثل كتاب السرّ في الصنعة لان هذا الكتاب دستور في الطبّ والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

قال ابو بكر رضي الله عنهُ ان من يتأنّى في تأليف الكتب [ينتظر] ان اذكر العلل التي تكون من القرن الى القدم وليس كل العلل تبرأ في ساعة واحدة فلاجل ذلك ذكرنا عضواً وتركنا اعضاء كثيرة ثم ذكرناها بعد وقدمت ذكر ما يجوز ان يبرأ في ساعة ان شاء الله تعالى . فمن ذلك

باب الصداع

اذا كان الصداع في مقدّم الراس وممّا يلي الجبهة فان ذلك قد يكون من فضل(١ الدم فعلاج ذلك ان يُخرَج شيء من الدم اما بالحجامة او بالفصد فانهُ يسكن على المكان او يشمّ شيئاً من الافيون المصري الجيد ويجعل منهُ في انفه واصداغه او يأخذ شيئاً من العنّاب او من شرابه او يأكل شيئاً من مرقة عدس او يتناول شيئاً من

١) وفي C من قِبَل

الكزبرة اليابسة فانهُ يسكن على الفور. واذا كان الصداع في وسط الراس فان ذلك قد يكون من الحرارة وعلاج ذلك ان تُبلّ خرقة كتان بدهن ورد وخل خمر(١ وتُلصق على الموضع وتوضع على الراس فانهُ يبرأ في الوقت او لبن جارية يُبل بهِ الخرقة من غير دهن الورد فان ذلك يسكن في المكان او يدلك اسفل رجليه بدهن البنفسج وملح فانهُ يسكن على المكان او يشمّ النيلوفر ويأكل من لبّ الخيار الذي قد وضع في خل ثقيف او يتناول شيئًا من الربوب الحامضة التي من شأنها اطفاء الصفرة فانهُ يسكن في الوقت ان شاء الله تعالى. واذا كان الصداع في موخر الراس مما يلي القمحدوة فان ذلك يكون من البلغم وعلاج ذلك يتقيأ العليل بسكنجبين(٢ وماء الفجل ويشرب عليهِ ماء الشبث حتى يتقيأ كل ما في جوفه من البلغم ويجتهد ان يكون ذلك في ماء حار فانهُ يسكن على المكان او يتناول شيئًا من الاهليلج الكابلي المربّى او الاملج المربّى فانهُ يسكن على المكان في الوقت وان تغرغر بايارج فيقرا برأ في الوقت

باب في هيجان العين

يكون هيجان العين من المشي في الشمس وعلاجهُ ان يشم الافيون المصري وتُطلى بهِ العين. او يكون ذلك بعقيب الجلوس عند النار [وعلاجه أن] يتناول شيئًا من الطعام البلغمي ويكتحل بشيء من الاهليلج الكابلي فانهُ يبرأ في الوقت

باب في الزكام

علاج الزكام الذي هو اصعب العلل في ساعة واحدة بأن تأمر العليل ان يصب على يافوخه ماء حارًا شديدًا الحرارة فاذا احسّ وملكت الحرارة في دماغهِ برأ من ساعتهِ ووقتهِ. ويكون علاجهُ ايضًا بان توخذ خرقة كتان فتُحمى على النار وتوضع على يافوخهِ فاذا احسّ الحرارة سكن في الوقت

باب في وجع الاسنان

علاجهُ ان تأمر العليل ان يأخذ حبّتين او ثلاثة من ميويزاج(٣ ويلفهُ بقطنة ويبلهُ بماء ويدقهُ بين حجرين ويضعهُ على سنّ العليل فانهُ يسكن في الحال او يأخذ وزن قيراطين من السكّر العُشر العتيق(٤ ويلفهُ في قطنةٍ ويجعلهُ على الضرس فانهُ يسكن. وقد يجعل اشياء كثيرة مثل الغالية والقطران وكي النار (٥

١) M^2 بكر ٢) M^2 بالخل والعسل ٣) M_2 زبيب الجبل
٤) M^2 سكّر العشر يسمّى الترجبين المغربي ٥) M^2 او الافيون

باب في قلع الاسنان من غير حديد

يأخذ عاقَرْقَرحا فيضعهُ في خل خمر شهرًا حتى يلين ويصير مثل العجين ثم يجعل منهُ وزن شعيرة على الضرس العليل فانهُ يقلعهُ في الوقت او يأخذ ماء عروق التوت الصيني ويجمدهُ في الشمس في جام ويضع منهُ على الضرس فيقلعهُ

باب في البَخَر

يأخذ زبيب بزوري جيد ويدقهُ مع اطراف الآس الرطب ويجعلهُ بنادق ويتناولهُ فانهُ يسكن البخر في الوقت

باب في الخوانيق

علاجهُ ان يتغرغر بربّ التوت مع خرء (١ الكلب فانهُ يسكن في الوقت

باب في العلق اذا تشبَّث في الحلق

علاجهُ ان يتغرغر بالخلّ او يأخذ وزن درهم من الذباب الذي يكون في الباقلاء. ويُدقّ ويُنخل ويُحلّ بخل خمر ويتغرغر بهِ فانهُ ينحلّ في الوقت

باب في الشقيقة

علاجها ان يُبخَّر بعَرَطنيثا فانهُ يبرأ في الوقت او يبخر بعظام الكلب. فان كان من لقوة بان يؤخذ كف من شعير ويوضع تحت الجبّ حتى يقطر عليهِ الماء ويلين ثم يؤخذ ويعصر من مائه نصف رطل ويفتق فيهِ دانقُ أُشق ودانق جاوشير ويسعط من ذلك اجمع بوزن دانق او دانقين فان حدث من ذلك وجع في الراس صبّ على رأسهِ ماء باردا شتاء كان او صيفًا فانهُ يذهب في الوقت ان شاء الله تعالى

باب في الصرع

علاجهُ ان يأخذ أفيتمون(٣ وعاقر قرحا وأسطوخودُس وبسفايج يُدق ويُنخل ويعجن بزيت طانفيّ ويتناول مثل الجوزة قبل الطعام فانهُ يدفع الصرع في ذلك الاسبوع

باب في الدويّ والطنين في الاذن

علاجهُ ان ينقع الافيون الجيد (٤ بالماء ويقطر في الاذن فانهُ يسكن في الوقت

باب في الرعاف

علاجهُ ان يُنفخ في الانف شبّ يماني او يوضع محجمة على الجانب الذي يرعف منهُ فانهُ يسكن في الوقت

١) M^2 زبل ٢) C يبرطي ٣) C الافيون المصريّ ٤) M^2 الافيون الجديد

باب في البواسير

علاجهُ ان يبخر بوزن دانق لوف شاميّ فانهُ يسكن في الوقت . فان عُمل حبًّا وطُرح فيهِ وزن دانق منهُ كان ابلغ ويسكن الوجع في الحال

باب في النواصير

يذرّ عليهِ التوتيا الاخضر فانهُ يبرأ في الحال (١

باب في الجراحات العتيقة (٢ التي لم تسكن منها المدّة منذ سنة او اكثر

يؤخذ من السمن البقري العتيق الذي مضى عليهِ ثلاث سنين او اكثر ويعمل فتيلة من قطن ويُغمس فيهِ ويوضع في العَقْر فانهُ يقطع المدة فيكون تمام التحام الجراحة ثلاثة ايام بعد العلاج

باب في الجراحات الطريّة

علاجهُ ان يوضع فيهِ صمغ البلاط واهليلج كابُلي مسحوقًا مثل الكحل وماء الكافور (٣ ثم يُلين بدهن وعسل فانهُ يسكن في الوقت

باب ومما يذهب بالوجع عن الاعضاء من سقطة او ضربة

ان تأخذ اقاقيا وصبر وماش ومغاث وطين ارمني فتدق الجميع وتبل (٤ بماء الآس الرطب وتطليهِ بريشة على تلك السقطة فانهُ يسكن الوجع في الوقت ويذهب الخضرة (٥ التي تولّدت منهُ

باب في حرق النار ووجعه

قد يعرض من حرق النار وجع شديد علاجهُ ان يؤخذ مرداسنج اصفهاني ونورة وورد مسحوق (٦ وحنّا (٧ من كل جزء واحدٌ وتبلّ القرصة بدهن ورد خالص ثم ينثر عليهِ فانهُ يسكن الوجع ويكون تمام البرء في اقل من ثلاثة ايام

باب في خروج المقعد

انهُ يؤخذ ظلف شاة وقرنها فيحرق ذلك ويُدق ويُنخل ويُخلط معهُ حفنة جلنار وشبّ وعفص (٨ وورد مطحون وقشر الرمان وآس رطب من كل واحد جزء ويطبخ بماء قليل حتى يخرج قوّتهُ ويقعد فيهِ صاحب الداء فاذا خرج مقعدهُ وضُمد بهِ ثم رُدّ فانهُ يثبت على الوقت ولا يخرج منهُ

١) C يقطع المدّة في الحال ٢) C العتيرة ٣) M^2 ومن الكافور ٤) M^2 وتبلّ
٥) M^2 الزروقة ٦) M^2 و C مطحون ٧) M^2 وحنا وحيّ العالم ٨) M^2 عفص بلّوط
٩) C الطيل

باب في القولنج

علاجهُ ان يؤخذ من المعجون الملوكي فانهُ يُسهل في الوقت او تؤخذ حنظلة فيُستخرج شحمُها ويُعمل منها فتيلة وتأمر العليل ان يتحمَّلها فانهُ يحلّهُ في الوقت الّا انهُ يحدُث منهُ كَرْب (١ عظيم ومغص في الجوف وعلاج ذلك المغص ان يؤخذ كفٌّ (٢ كزبرة وقليل كمُّون وكراويا وكف شعير(٣ وكف حبّ الرمان يُطبخ جيّدًا او يؤخذ من مائه نصف رطل ويصبّ اوقية مربّى اي مربّى العسل ويضرب ويشرب فانهُ يسكن في الوقت

باب في زحير الصبيان

يؤخذ حب الرشاد مثقالًا ويطرح عليهِ ثلثا مثقال كمُّون كرماني يُدق ويُنخل ويُعجن بسمن بقري عتيق ويسقى بلبن امه فانهُ يسكن في الوقت

باب في حلقة الصبيان

يسقى من انفحة جديٍ بلبن امه فيسكن في الوقت

باب في وجع القلب (٤

علاجهُ يؤخذ راحة كف من الحبة الخضراء وكف زنجبيل بلدي وكف جرجير يُدق ناعمًا ويُخلط بعسل ويُلعق فانهُ يذهب في الوقت. وينفع ايضًا من وجع القلب الدائم ويخرج البلغم الحارّ باذن الله تعالى

باب مسًّا يعقل البطن (٥

يؤخذ قشر الخشخاش يُدق ناعمًا ويُعجن بماء الورد ويُستعمل منهُ نصف درهم صباحًا ونصف درهم مساء عند النوم فانهُ يشفي حالًا

باب في عرق النَّسا

هذه علّة عظيمة كثيرة الخطر يتلف فيها الخَلق لقلّة معرفتهم بها ويكون ذلك في الجانب الوحشي من طرف العَصعص الى القدَم ولقد كان الاجود ان نقول فيهـا قولًا بليغًا غير انَّا نحب ان لا نتجاوز عن غرض كتابنا هذا فقلنا فيهِ بالايجاز. وعلاجهُ يؤخذ درهم صبر سُقُطري ومثلهُ اهليلج اصفر ومثلهُ سورنجان ابيض يُدق ويُنخل ويُعمل حبًّا فانهُ يسهل خمسة مرارًا الى ستة فانهُ يبرأ في الوقت. ولقد عالجت بهذه الدواء شيخًا كبيرًا بقي بهذه العلّة سنة (٦ لم يمكنهُ النهوض ولا التقلب من جانب الى جانب فبرأ في الوقت باذن الله تعالى

١) C تحذر ٢) M² راحة ٣) M² زعتر وحزاة ٤ و ٥) هذان البابان في نسخة M² فقط ٦) C سنين كثيرة

باب في الخدر (١

علاجهُ يؤخذ رماد السرطان ويُخلط بزيت ويضمد به موضع الخدر يذهب في الوقت وكذلك القطران ينفع الخدر شربًا وطليًا ويُكثر صاحبهُ دخول الحمام فانهُ ينتفع وايضًا شحم الحنظل يقلى في الزيت ويُمرخ صاحب الخدر فيبرأ في الوقت وايضًا الحنظل الاخضر اذا دُلك به موضع الخدر ينفع في الوقت وايضًا الشرش المغربي يُدق ويُضاف اليهِ عرق روح الخمر والزبيب والعنب ينفع من الخدر والوجع والخدير الذي يكون موجودًا في اي موضع كان في البدن يُجرب نفعه

باب في الاعياء والتعب

وقد يكون الرجل يمشي فراسخ نحو العشرة او اكثر فينالهُ من ذلك تعب وجمود في المفاصل ولا يمكنهُ النهوض. علاجهُ ان تبلّ (٢ اظافيره باي دهن كان فانهُ يسكن في الوقت ويمكن ان يمشي مثلها. وينفع منهُ ايضًا ان يقوم الرجل في الماء البارد ان كان صيفًا وفي الحار ان كان شتاء ويكن الماء الى ركبته ولا يصب على بدنه فانهُ يذهب الاعياء في وقته ان شاء الله تعالى

باب في الجرب

علاجهُ ان يأخذ الترمس البرّي ويدقهُ دقًا جيدًا ثمَّ ينقعهُ في الماء يومًا او يومين ويغسل الدابة وبعد الغسل يدهن بهِ فانهُ نافع ان شاء الله تعالى

باب في الاطراف اذا عرض لها الحكّة (٣ اذا غسل يده في الماء البارد

ان تأخذ ماء حارًا شديد الحرارة فتطرح فيه كفّ ملح وتضع اطرافه فيهِ ساعة تبرأ في الوقت . واذ قد اتينا على ما قصدنا اليه فنقول لا حول ولا قوة بألا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا وحبينا وشفيعنا يوم القيامة محمد صلى الله عليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا ابدًا. تمَّت الرسالة المسمَّاة برء ساعة في الطبّ تأليف الشيخ الماهر ابي بكر محمد بن زكريّا الرازي رضي الله عنهُ وجعل الجنَّة مأواهُ)

فهرست الالفاظ الطبيَّة الواردة في كتاب برء الساعة وما يوافقها في لسان العلم

أُشَّق – Gomme de *Dorema ammoniacum* L.
آس – *Myrlus communis* L.
أُسطوخودُس – *Lavandula Stæchas* L.

١) هذا الباب في نسخة M² فقط ولعلَّهُ زيد على الاصل لانَّ فيهِ ذكر عرَق روح الخمر الذي ارتأى العلَّامة برتلو انَّ الرَّازي لم يعرفهُ ٢) C ان يطلي ٣) C في الشتاء

أفتيمون – *Cuscuta Epithymum* Murr.

أقاقيا – Extrait des fruits de قَرَظ *Mimosa nilotica* L. cueillis avant maturité.

أملَج – *Phyllanthus Embelica* L.

أنفحة – Lait contenu dans l'estomac des jeunes animaux encore allaités par leur mère.

ايارج فيقرا – Hiera picra. Confection purgative et amère à base d'aloès.

بسفايج – *Polypodium vulgare* L.

بَنفسَج – *Viola odorata* L.

تُرمُس – *Lupinus digitatus* Forsk. او *L. angustifolius* L.

توتيا اخضر – Minerai de cuivre.

جاوشير – Gomme de *Opopanax Cheironium* Koch.

جَرجير – *Eruca sativa* Lam.

جُلنار – Fleur du grenadier sauvage (*Punica granatum* L.)

الحبة الخضرا – Fruit du بُطم *Pistacia Terebinthus* L.

حناً – *Lawsonia inermis* L.

حَنظَل – *Citrullus Colocynthis* L.

حيّ العالم – *Sempervivum arboreum* L.

خشخاش – *Papaver somniferum* L.

رشاد – *Lepidium sativum* L.

زبيب الجبل – Comme ميويزاج

زَنجَبيل بلدي – *Inula Helenium* L.

سُكَّر العُشر – Manne récoltée sur *Asclepias procera* L.

سِكَنجَبين – Sirop préparé avec le miel et le vinaigre.

سورنجان – *Colchicum variegatum* L. Hermodacte.

شبث – *Anethum graveolens* L.

شرش المغربي – *Ononis antiquorum* L.

صَبِر – Suc de *Aloe vera* L.

صمغ البلاط – Lithocolle. Mélange de marbre et de colle de peau de bœuf.

طين ارمني – Argile ferrugineuse.

عاقرقرحا – *Anthemis Pyrethrum* L.

عرطنيثا – *Cyclamen europæum* L. ou d'après Leclerc, *Leontice leontopetalon* L.

عَفص – Galle produite sur *Quercus infectoria* Oliv.

عُنّاب – *Rhamnus Zizyphus* L.

غالية – Confection (معجون) astringente renfermant du musc.

فُجل – *Raphanus sativus* L.

كراويا – *Carum carvi* L.

كزبرة – *Coriandrum sativum* L.

كَمّون – *Cuminum Cyminum* L.

لوف – *Arum vulgare* L. et autres.

ماش – *Phaseolus Mungo* L.

مرداسنج – Oxyde de plomb.

معجون الملوكي – Composé de هليلَج, poivre, gingembre, etc. — Avicenne l'appelle سيد الدوية

مُغاث – Racine de grenadier sauvage *Punica granatum* L.

ميويزاج – *Delphinium staphysagria* L.

نيلوفر = *Nymphæa alba* L. او *lutea* L.

هليلَج اصفر – *Terminalia Chebula* Retz.

هليلَج كابُلي – Variété du précédent.

ربة شهر ايار

لجناب المعلم الاديب يوسف افندي القاخوري مدرّس العربيّة في المدرسة البطريركيّة العامرة

بات الحلي المستحب الوداد · مُنزه القلبِ رفيع العمادْ
مبتعدًا عمّا يشينُ السدادْ · يهيم في مريمَ فخر البلادْ
امّ إلهِ الخلق ربّ العبادْ

من هامَ في ألفتهِ الفاتناتْ · او عشق الخمرة والخادراتْ
أو جدَّ في استرضائهِ الغانياتْ · مستسلمًا للشرّ في ذي الحياةْ
يلقَ الشقا في كل صقع ونادْ

ومن يهم في مريم العذرا · يَعتل ما بين الملا قدرا
ويدّخر من ذا الهوى فخرا · ويُهدَ من صوغ الثنا دُرًّا
وعشقهُ لا يعتريهِ الفسادْ

فهي التي فاق بهاها القمرْ · والصبحَ إشراقًا اذا ما سفر
والشمسَ نورًا يستميلُ النظرْ · والزَّهر ظرفًا ناظريهِ بهرْ
واستجمعتْ آياتِ حُسنٍ مُزادْ

فخر العفاف المسترقّ الحبيبْ · نورُ الهدى ليس بها ما يعيب
شمسُ البها انوارُها لا تغيبْ · غوث الملا صوتَ المنادي تجيب
سلطانة العلياء عين السدادْ

فهيَ البتولُ المَلكةُ الطاهرهْ · عروسةُ الروح العلي القادره
مُريحةٌ من قسوةٍ جائرهْ · مُغيثةٌ للانفس الحائره
تحيي الاماني وتُنيلُ الرّشادْ

مولودةٌ خاليةٌ من غرورْ · بريئة من وقْر كل الشرور
قد حبلتْ بالربّ نسلَ القديرْ · بقوةِ الروح العزيز الخطيرْ
بعيدةٌ عن ريبةٍ وانتقادْ

في الصبح والامساء قد عُظّمتْ · وافضل الوقت بهِ كُرّمتْ

كنيسةُ الربِّ بها أُغرمتْ وشهرِ أيارٍ لها قدّمتْ
شهرًا به تزهو رياض البلاد

شهرٌ به طرفُ الانام يَقِرّ واوجهُ الاقمار فيه تَدِرّ
والخير تبيانًا وجودًا يَدِرّ والارض هذا الناس طرًّا تَبرّ
وتُربها يغذى بدرّ المهادْ

فزهرةُ النرجسِ عجبًا تميـل ويوشك الزنبقُ حسنًا يسيل
والندُّ فوّاحٌ يداوي العليل والوردُ بسّام همومًا يُزيل
ونسمةُ الصبح تهادي الوهادْ

وَرْدُك ايّارُ البهيُّ الجميلْ أنوارهُ حاكتْ جمالَ البتولْ
لكنّكَ الفاني وذا لا يَزُولْ وعرفهُ يحوي النسيمُ البليـلْ
فينعشُ النّفسَ ويُحيي الفؤادْ

عليكَ يا خيرَ الشهورِ السّلامْ من عاشقِ العذراءِ أُمّ السّلامْ
مجدِ العفيفات وأصلِ السّلام غوثُ البرايا في ديارِ السّلامْ
علاً بها نظمُ صحيحِ الودادْ

(السّلام السّلم ثمّ اسمٌ من اسمائهِ تعالى ثمّ النجاة. وديار السلام الجنّة)

لبس الجراجمة المردة

من قلم سيادة المطران الجليل يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت على الموارنة

قد اتحفنا المشرق الاغر في هذه المدة بمقالتين احداهما للاب هنري لامنس اليسوعي نُشرت في العدد ٢٤ من سنتهِ الخامسة (ص ١١٢٢) في الجراجمة. والثانية للاب انستاس الكرملي في العدد ٧ من سنتهِ السادسة (ص٣٠١) عنوانها المردة او الجراجمة. وبما ان الغرض من المقالتين هو البحث العلمي الصرف كان يقيننا ثابتًا بان حضرة الكاتبين يتلقيان بالمسرة الخوض معهما في هذا الميدان

ان واقع الحال هو حضرة الاب لامنس كتب مقالةً اولى انكر فيها ان المردة من

الموارنة فاجبناهُ على هـذه المقالة وايدنا كلامنا بثمانية ادلة تثبت رأينا في ان المردة اسم للموارنة في القرن السابع غير ان الاب الموما اليه عوضاً عن ان ينقض تلك الادلة كما تقتضي طريقة الجدال الحقّة ويأتي بما يزيد في تأييد رأيه ان كان لهُ ما يؤيدهُ اتى بالمقالة الثانية يثبت رأيه بما لا نراهُ يؤيدهُ زاعماً ان الجراجـمة اشبه بالمردة في احوالهم فهم المردة انفسهم. ثم رأينا في المشرق مقالة الاب انستاس اشبه بمقالة الاب لامنس فتحتم علينا ان ندون هذا الردّ انتصاراً لما نراهُ حقاً

هلمَّ ننظر الآن في ما كتب الاب لامنس في هذا الشان قال « ثم يذكر البلاذري تاريخ الجراجـمة على مألوف عادته في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فترى في كلامه بعض الابهام لانهُ يروي بجملتهم الروايات المختلفة التي جمعهـا دون ان يكدّ ذهنه في اثبات صحتها او التوفيق بينها » رويدك ابي ألا ترى ان ما قلتهُ عن البلاذري مسقط لشهادته وموجب لعدم الاعتماد عليها فمن جمع روايات مختلفة ولم يعنَ باثبات صحتهـا والتوفيق بينها أفيسوغ الاعتماد على روايته

قلت بعد ذلك « من يقابل بين هذه الروايات الشتى يأخذهُ الاندهال لما يجد بين اخبار الجراجمة والمردة من التشابه » وقضيت اخيراً استناداً الى هذا التشابه بان الجراجمة هم المردة وانك « تطابق بينهما » فالتشابه وحدهُ وان عظم لا يجعل اثنين واحداً والّا فيحلّ مثل هذا الكلام الى ما يبنى عليه من القياس فيكون كل اثنين تشابهـا كان احدهما الآخر والحال ان الجراجمة يشبهون المردة فاذاً الجراجمة هم المردة افيصحّ هذا القياس ؟

ومع ذلك فلنرَ ما هذا التشابه قلت : « ما ذكرهُ المؤرخون عن قدوم المردة من شمالي سوريَّة الى جنوبها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكونهم في جوار حمص و بعلبك ودمشق قد رواهُ البلاذري عن الجراجمة في ايّام الخليفة عبد الملك » . وذكرت قول البلاذري متقطّعاً لم نهتدِ في كلامك اليه كاملاً فاخذناهُ عن مقالة الاب انستاس فاذا هو :

« خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوّادهم ثم صارت الى لبنان . وقد ضوت اليهـا جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين فاضطرَّ عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مال يؤديه اليه لشغله عن محاربته... ثم ان عبد الملك وجّه الى الرومي سحيم بن المهاجر فقتلهُ ومن كان معهُ من الروم ونادى في سائر

من ضوى اليه بالامان فتفرّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم باللكام »

انتهى كلام البلاذري. والظاهر منهُ اولًا ان هؤلاء الغزاة روم وقائدهم روم ولا ذكر فيهِ للجراجمة الّا تبعًا كالانباط والعبيد وانت اوهمت ان كلهم جراجمة. ثانيًا ان هذه الغزوة واحدة كانت في أيام عبد الملك والمؤرخون الذين تكلموا عن المردة بدأوا بذكر غزواتهم من ايام معاوية ودامت في ايام يزيد ابنهِ ثم في أيام مروان الى خلافة ابنهِ عبد الملك الذي كانت غزوة الروم هذه في أيامهِ فلا تشابه بل خلاف في الزمان وغيره. ثالثًا ان عبد الملك صالح خدعةَ الروم على الف دينار يدفعها كل يوم جمعة لطاغية الروم. والذي ذكرهُ المؤرخون عن المردة ان معاوية صالح قسطنطين اللحياني بسبب غزواتهم على مال وخيل وعبيد يبذلها لهُ ثم ان عبد الملك صالح يوستنيانوس الثاني لهذا السبب على مال بشرط ان يكبح المردة وينفي عسكرهم فالخلاف ظاهر ايضًا ولا تشابه. رابعًا ان عبد الملك على قول البلاذري ارسل ابن المهاجر فقتل القائد الرومي وكثيرين من جماعته وامن من تابعهُ فتفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق وعاد اكثرهم الى مدينتهم والذي ذكرهُ المؤرخون عن المردة انهُ بعد الصلح مع معاوية استمرُّوا على اغاراتهم مدة طويلة وبعد الصلح مع عبد الملك حاربتهم عساكر يوستنيانوس لا عسكر الخليفة ولم ينتصروا على المردة بل اخذوا اثني عشر الفًا من عساكرهم خدعةً ومكرًا واوصلوهم اولًا الى ارمينية ولم يتفرقوا بقرى حمص ودمشق. فانظر كم من الخلاف بين المردة والجراجمة وبين البلاذري والمؤرخين الذين ذكروا المردة وانت تقول ان ما ذكرهُ البلاذري عن الجراجمة وما ذكرهُ المؤرخون عن المردة واحد وان بين الامتين تشابهًا بل اتفاقًا حملك على ان تطابق بينهما كما سيجي من كلامك. وذكرت فقرة من كلام البلاذري مقطوعة عمَّا قبلها وهي « تفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق » لتوهم انهم المردة اي الموارنة الذين كانوا منذ نشأتهم يسكنون في جهات حمص وحماة حيث كان دير ابيهم القديس مارون ورهبانه. والخلاصة انهُ لا تشابه بين الامتين الّا بانّ المردة انضمّ اليهم عند غزواتهم اسرى وعبيد ووطنيون والروم في الغزوة المذكورة ضوى اليهم جراجمة وانباط وعبيد أُبّاق لكن هذا التشابه عامّ في كل ثورة وكلما ثار قوم انضوى اليهم كل من لهُ مصلحة بثورتهم وهذا نراه الى اليوم في كل محل فضلًا

عن الخلاف بين من ضووا الى المردة ومن ضووا الى الروم المذكورين وحيث ان الاب لامنس والاب انستاس اعتمدا في مقالتيهما على التشابه خاصة فنرى هنــا ما ذكرهُ الاب لامنس في باقي اقواله عن هذا التشابه ونذكر اقوال الاب انستاس عند ردّ كلامه مبينين ان لا تشابه بين المردة والجراجمة بل اوجه الخلاف كثيرة

فقد استشهدت قول البلاذري في فتوح البلدان صفحة ١٥٩ « ان الجراجمة من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج . . . يقال لها جرجومة » والمردة كانوا في لبنان وجواره على قول كل من ذكرهم فالخلاف ظاهر

ثم نقلت عن البلاذري ايضاً صفحة ١٦١ في تاريخ سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ م) « ان الوليد بن عبد الملك وجَّه الى الجراجمة مسلمة بن عبد الملك فافتتح مدينتهم وصالحهم على ان ينزلوا حيث احبُّوا من الشام وعلى ان لا يُكرهوا على ترك النصرانيَّة ولا تؤخذ منهم جزية . . . وان الخلفاء اجروا الارزاق على هؤلاء الجراجمــة واستعانوا بهم في حروبهم » فشتَّان بين ما ذكرتهُ هنا عن الجراجمة وبين ما ذكرتهُ انت نفسك عن المردة فكيف تستشهد للمشابهة ما هو نصٌّ في الخلاف على انهُ اذا صحَّت هذه الرواية كان بيّنة عليك لا لك فالمردة كانوا يسطون في أيام معــاوية وايام عبد الملك بن مروان واخذ يوستنيانوس منهم اثني عشر الفاً وانت قلت ذلك والبلاذري يقول في الجراجمة انهم صولحوا واحسن اليهم بعدم اخذ الجزية واجرى الخلفاء الارزاق عليهم واستعانوا بهم في حروبهم فهذا بيّنة لنا عليك انت الذي تزعم ان الامتين واحدة. فضلاً عن ان هذا كان في القرن الثامن بعد انقضاء غزوات المردة. نقلت ايضاً عن البلاذري قولهُ في صفحة ١٦٢ « خرج في جبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك فوجَّه صالح بن علي ابن عبد الله بن العباس من قتل مقاتلتهم واقرَّ من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان » فاين الذكر بهذا القول للجراجمة وانّى حقَّ لك ان تقول بعد ايراده دون فاصل « هذا دليل واضح ان قوماً من الجراجمة كانوا قبــل هذا العهد في لبنان ». فاو اكتفيت بما نقلتهُ عن البلاذري في كلامه عن ميمون الرومي انهُ لم يكن من الجراجمة وانهُ نسب اليهم لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لبنان معهم لاتّسق ذلك مع كلامك وان لم يفدك في مقصــدك ان الجراجمة والمردة امة واحدة ولو ثبت قيام بعض الجراجمــة بين المردة لا يثبت منهُ ان الامتين واحدة كما

صرحت بدءاك بقولك « ان الاتفاق بين احوال المردة وامور الجراجمة يحملنا ان نطابق بينهما » اقتصي ما ذكر من الخلاف اتفاقاً . وعدلت عن ان تسميهُ تشابهاً ثم نقضت المشابهة والاتفاق بخاتمة كلامك حيث قلت « فكان اذاً في لبنان قوم من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانه » . ونحن نقول ان ثبت هذا فاي مضرة لنا منهُ فان وجد قوم من الجراجمة بين المردة في لبنان اينتج منهُ ان الجراجمة هم المردة او يؤخذ منهُ ما يضادّ ما اثبتناه . هذا خلاصة كل ما قلت

هلمَّ ننظر الآن الى مقالة الاب انستاس الكرملي فقد افتتح كلامه بقوله انهُ ماروني قح وانهُ كثيراً ما دافع عن ان المردة والموارنة امة واحدة وانهُ لمّا طالع نبذة الاب لامنس الاولى كاد يغمى عليهِ وقراها بلمحة بصر وانهُ بعد ان طالع الردّ على الاب لامنس انشرح صدره ولكن ما حثّني بهِ هذا الاب ذلك الردّ اعاد اعتلاله واكرههُ ان يبحث عن الحقيقة (١ . فهلمَّ ننظر ما قال حضرة الاب ايضاً قال ان نتيجة بحثهِ ادّتهُ « اولاً الى ان المردة في الاصل من اقوام فارس والكلمة فارسيَّة لا حظّ لها من الاشتقاق العربي او الارمي » قلنا لو قال ذلك إعجمي لاغتفر قولهُ واماَّ ان يقولهُ سرياني ماروني عربي فلا يُغتفر لهُ . وقال « ثالثاً كان المردة في الاصل روماً جاؤوا سوريَّة مع غيرهم » . وقال « رابعاً ان اسم المردة والاصح الجراجمة اسم قوم محارب اجتمع افرادهُ من امم شتى واديان مختلفة » فهذه ثلاثة اقوال مختلفة فليقل لنا على أيها يعتمد وعلى أيها اعتمد كان ناقضاً لرأيه فان كان المردة من الفرس او الروم او امم شتى فليسوا جراجمة فكان عليهِ ان يصرح على ايّ هذه الاقوال يعتمد او على الأقل ان يعبّر عن مقصدهِ بما يفهمهُ الجمهور

قال ثانياً « ان من سمّوا القوم مردة من السوريين اخذوا التسمية عن اليونان » قلنا هذا مخالف للظاهر البديهي فالمردة سوريون وسريان واسمهم يطابق السريانيَّة والعربيَّة دالّاً على تمردهم وعصيانهم ولا سبيل لليونان ليسموهم بهذا الاسم السرياني او العربي والقول أنهم سمّوهم كذلك تشبهاً بالمرَدة الذين كانوا في القرن التاسع قبل المسيح خرافة سيأتي ردها . قال « خامساً ان الجراجمة قبل ان يأتوا لبنان كانوا يسكنون

---

١) راجع المشرق ٥ : ٩١٤

ولايات آسية الصغرى» قلنا فلم يأتوا اذًا من جرجومة فجرجومة في سوريّة فسامح الله كاتب هذه المقالة بهذه الاقوال المتناقضة ولكن لا نسامحهُ بما قالهُ بعد ذلك عنها «فهذه كلها حقائق اصبحت عندي مثبتة راهنة»

ثم اخذ الاب انستاس يورد شهودهُ فذكر اولًا توافان فتحجّهُ بما ذكرمنهُ. فما معنى قوله «ان يكع جيش المردة الذين في لبنان ويمتنع شنّ غاراتهم...وفي السنة الثانية استرجع المردة الساكنين في لبنان وبهذه الصورة هدم سورًا حصينًا» فمن طالع اقوال توافان في محلّات عديدة واقوال شدرانوس وزاناراس وانستاس المكتبي وبولس الشماس والملك قسطنطين السابع ابن لاون الحكيم من القدماء. واقوال من لا يمكن عدّهم من المتأخرين تحقق ان جميع هؤلاء يفهمون بالمردة سكان لبنان ومن انضمّ اليهم من اخوانهم الذين كانوا في نواحي انطاكية وحمص وحماة لا غزاة اتوا الى لبنان او مرّوا به ولاسيَّما لان كل هؤلاء العلماء صرحوا ان غزواتهم وغاراتهم استمرت طويلًا. وقال الاب لامنس في مقالته الاولى «اقل من نصف قرن» وكل هؤلاء ايضًا سموهم مردة لا جراجمة فيجيبنا صاحب المقالة ان توافان سماهم مردة لنكتة بديعيَّة تاريخيَّة. وملخص كلامه ان توافان سمى الجراجمة مردة ليفهم القارئ ان ماجرى بين الجراجمة والعرب يشبه ما جرى بين المردة واعدائهم قبل المسيح بقرون يريد بالمردة بكلامه هذا القبيلةَ التي كانت في نواحي طبرستان قبل المسيح بتسع قرون وهذه القبيلة يسميها الافرنسيون (Mardes مردس او مرد) فمن يصدق ان توافان تكلم في تاريخه بالالغاز فالالغاز والنكت البديعيَّة لا تكون في التاريخ وكيف وافق توافان على هذه التسمية كل العلماء الذين ذكرناهم وكثيرون غيرهم ولم يحلّ احدهم هذا اللغز او يفكّ هذا المعمّى الى ان اهتدى اليه صاحب المقالة. فمثل هذا الكلام لا يحتاج ردًّا. وفي جملة اقوال الاب لامنس في مقالته الاولى ان المردة من هؤلاء المَرْد ثم عدل عن ذلك وقال في مقالته الثانية انهم الجراجمة

اورد الاب انستاس قولًا لابن الاثير في الجزء الرابع (ص ١٤٩ الا ١٨٩ كما طُبع) جُلُّ ما قالهُ فيه «انهُ خرج قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام واتبعهُ قوم من الجراجمة والأنباط والأُباق وغيرهم ثم سار الى لبنان (على قوله وفي نسخة مدرستنا التي هي من الطبعة الازهريَّة الى البنان) فبذل عبد الملك الى هذا الخارج الف دينار في

الجمعة فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهاجر فاظهر ممالته له وذمّه لعبد الملك ولما تمكن منه أكمن له من جنوده فقتله وبعضاً من اصحابه » هذه رواية ابن الاثير وهي رواية البلاذري نفسها التي مرّ ذكرها لا غيرها .
ومع ذلك فليقل لنا الاب انستاس أيسوّي بين ما كان لهــذا القائد وبين ما يقوله المؤرخون عن المردة واغاراتهم في أيام معاوية حتى أيام عبد الملك وبين ما كان من المهدتين بين معاوية وعبد الملك وملوك الروم بسبب المردة وبين ما بذله عبد الملك لهذا الخارج الف دينار في كلّ جمعة ليسكنهُ خدعةً وبين قتله وبعض اصحابه وبين اجلاء اثني عشر الف من المردة ثم هبه سار الى لبنان ايكون هو واصحابه المردة فلم يحارب كما حاربوا وقُتل ولم يُقتلوا . كلاّ ان هذه الرواية لا تنطبق على المَرَدة ولا على الجراجمة ايضاً لانهم كانوا اتباعاً كما رأيت في قول ابن الاثير هذا وفي قول البلاذري

ثم جاء صاحب المقالة بكلام أخذهُ من معجم البلدان لياقوت في اسم جرجومة وبعض تاريخها . وجُل ما له علاقة ببحثنا هو قوله « خرج منهم قوم الى الشام مع ملك الروم في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في أيام بني أميّة وبني العبّاس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة » . فهذا مؤيد لرأينا لا لرأي الابوين لامنس وانستاس لان المردة كانوا على خلاف ذلك

ثم اورد كلام البلاذري وذكر ممّا له علاقة ببحثنا ما ذكرهُ ابن الاثير في عصيان الجراجمة باكثر تفصيل وهذا قدَّمنا ردهُ . ثم اعاد علينا ما ذكرهُ الاب لامنس في افتتاح الوليد جرجومة سنة ٧٠٧ م وتأمين اهلها وان ينزلوا حيث احبوا واسهب في الخبر اكثر من الاب لامنس فكان من كلامه اكثر بيان لما نثبتهُ نحن خلافاً لهما . ولا تسهُ عمّا مرّ من انّ الكلام على حدث جرى في اوائل الجيل الثامن اذ كان نفي عسكر المردة وخمدت جذوتهم فلا ينتج منهُ شيء يدل على ان الجراجمة والمردة امة واحدة . ثم روى عن البلاذري ايضاً ان المتوكل على الله « الذي كان في القرن الثالث للهجرة امر ان تجري الارزاق على الجراجمة اذ كانوا ممّن يستعان بهم في المسالح » وهذا ايضاً يؤيد رأينا لا رأيهما

ثم قال « هذا ما اخذناهُ بحرفه عن تاريخ هــذا الكاتب المحقّق وانت تعلم علو منزلة البلاذري من تدوين الحوادث اذ انك لا ترى ابداً هذا الجهبذ يلقي الكلام

على عواهنهِ بل يسندهُ دائمًا الى من حدثهُ به » وقد مرَّ ان الاب لامنس قال في حقه « ترى في كلامه بعض الابهام لانهُ يروي في حقهم (الجراجمة) الروايات المختلفة التي جمعها دون ان يكدَّ ذهنهُ في اثبات صحتها او التوفيق بينها » فاي منكما يا ابوي صدق وايٌّ لم يصدق ؟ امَّا انا فارى الاب انستاس احكم اذ طبّق كلامه على غرضه لكنني ارى الاب لامنس اصدق اذ نطق بالحقّ وما رويناهُ من اقوال البلاذري شاهد عدل لذلك

جاءنا اخيرًا الاب انستاس بشهادة من التاريخ السرياني لابن العبري (صفحة ١٠٩ طبعة بدجان) وتفاخر بها حتى قال بعد ايرادها « قطعت جهيزة قول كل خطيب » وجعل هذا الكلام خاتمة مقالته فامعنَّا النظر في هذه الشهادة فاذا هي من اكبر الحجج لنا وبيّنة دامغة عليه فنورد ترجمته لكلام ابن العبري وفقًا للاصل السرياني الذي ذكرهُ هو فينظر القارئ انهُ يؤيد جليًا ما نثبتهُ لا ما زعمهُ هو والاب لامنس قال بعد ايراده الاصل السرياني : « وهذا تعريبه : ان اناسًا من الروم (كانوا يسمون حينئذٍ رومًا كل من اتبع ملوك الروم وانتصر لهم ضد العرب) غزاة مردة (وفي الاصل اناسًا غزاة رومًا ܡܪ̈ܘܕܝܐ والكلمة منسوبة الى ܡܪܘܕܐ اي المتمرّد او خالع الطاعة فصحيح ترجمتها منسوبين الى المردة) وكان اهل سوريَة يسمونهم جراجمة اي ابطالًا (وفي الاصل كان السريان لا اهل سوريَة يسمونهم ܓܘܪ̈ܓܘܡܝܐ والكلمة بمعنى الابطال او الجسورين وليست نسبة الى الجراجمة وان وافقت بعض حروف اسمهم) ضبطوا البلاد من جبل الجليل الى الجبل الاسود وكل جبل لبنان وكابد العرب منهم كثيرًا وفي الآخر تغلّب العرب فقتلوا بعضًا منهم وسملوا عيون آخرين »

فصحيح ترجمة كلام ابن العبري هو « ان اناسًا غزاة رومًا من امة المردة ويسميهم السريان بلغتهم كركوميا اي ابطالًا ضبطوا كل البلاد من جبل الجليل الى الجبل الاسود وجبل لبنان الخ » وهذا الكلام الاخير نفسهُ ورد كانهُ بحروفه في اقوال توافان وشدراتوس وزاناراس في كلامهم عن المَرَدة وكذلك رواهُ كل من رووا اخبارهم فلا شكَّ اذًا في ان ابن العبري تكلم في هذه الفقرة على المردة وليس للجراجمة فيه الأقرب اسمهم من اسم كركوميا الذي فسرهُ الاب انستاس نفسهُ بابطال ܓܘܪ̈ܓܘܡܝܐ بالسريانيَة معناها الحروب او نوى الحروب و ܓܘܪܓܘܡܐ

خروبة وليس في مادة الاسم ما يدل على الشجاعة او القوة وتفسير الاب انستاس لهُ بابطال مشمر بان الكلمة ليست منسوبة الى جرجومة بل وافق مقصدهُ ان يقول جراجمة ويفسرها بابطال كما هو تفسيرها الصحيح فاذاً شهادة ابن العبري بينة ظاهرة لنا وما كان يحقّ لهُ ان يتفاخر بها ويترنم باناشيد الظفر قائلاً « قطعت جهيزة الخ » بل حقّ علينا ان نسديه شكراً جزيلاً على انهُ هدانا الى بينة أُخرى فوق ما لنا من الحجج على ان المردة اسم الموارنة في القرن السابع اكسبتهم اياهُ غزواتهم واغاراتهم ثم عادوا الى اسمهم موارنة ونعتقد ذلك حقيقة اثبتها كل علمائنا ونحن احترهم في مقالتنا السابقة ومقالتنا هذه وقد جزمنا ان لا نعود الى الكلام فيها الّا ان يرد من يخالفنا فيما كل ادلتنا بموجب قوانين الجدال ولا يلقى عندنا ما يخالف هذه القوانين الّا عدم الاكتراث هدانا الله جميعاً الى الصواب

حاشية لحضرة الاب هنري لامنس

ان سمح لنا السيّد الجليل كاتب المقالة اوردنا هنا بعض ملاحظات نسأل سيادتهُ ان يرمقها بنظره السامي: ١ً انّنا في مقالتنا الاولى عن المردة « لم ننكرْ انَّ المردة من الموارنة » وانّما اكتفينا بذكر آراء العلماء في هذا الشأن تاركين القراء ان يختاروا ما يرونهُ اقرب الى الحقّ (المشرق ٥ : ٨٣٨). امّا مقالتنا الثانية عن الجراجمة فقد سعينا بأن نثبت فيها استناداً الى الكتبة الاقدمين من يونان وعرب انّ اسم المردة والجراجمة أُطلق على امّة واحدة او بالحري انَّ الجراجمة كانوا اقرب فرق المردة الى الشام

٢ً ليس بين رأيي ورأي حضرة الاب انستاس اختلاف جوهري. وكذلك لا يختلف راينا في رفيع مقام البلاذري بين المؤرخين. الّا انَّ حضرة الاب انستاس بيّن خصوصاً عظم شأنهِ ودقّة معارفهِ بينا الفقير ابديتُ اسفي على انَّ هذا الكاتب « لم يوفّق بين الروايات التي اثبتها » (المشرق ٥ : ١١٢٢). وهذا الحال لا يمنع كونهُ من اعظم مؤرخي العرب

٣ً لسنا والاب انستاس اوّل من ارتأى انَّ الجراجمة والمردة شعبٌ واحد. فانَّ غيرنا وفضلهم بين العلماء شائع قد سبقوا ورجّحوا هذا الراي. فان كنّا اخطأنا فهذا الخطأ يشمل قوماً مبرّزين

٤ً لم تكن نيّتنا لمّا قادنا سياق كلامنا عن شعوب لبنان الى البحث عن المردة ان نباشر جدالاً مع احد. كما اننا الآن لا نقصد ذلك. وغاية ما اردنا ان نوضح ما حسبناهُ الحقّ. وقد عرف كاتب الارز في عدده ٣٩٩ الصادر في ١٦ نيسان المنصرم لنا ولحضرة الاب انستاس حُسن نيّتنا. فنشكرهُ على امتداحهِ اعتدال خطتنا

(المشرق) بعد مقالة السيد الفضال والطران الجليل يوسف الدبس والملاحظات السابقة لم نَعُد نرى داعياً لمواصلة هذا البحث ومن ثم لا نقبل رسالة لاحد في هذا الصدد. فلكلٍّ ان يفحص ما جاء به الفريقان من الادلة ويرتأي ما يرى فيه وجه الصواب جريًا على قول القديس اوغسطينوس: «فلنلازمنَّ الوحدة في عقائد الايمان والحرّيّة في الامور غير الثابتة والمحبّة في كلّ شيء.»

قيامة المسيح

للاب يوسف غرد اليسوعي مدرّس اللاهوت في كلية القديس يوسف (تتمة)

٣ اثبات الرُّسل في حقيقة قيامة المسيح

ليس الرسل مخادعين مكّارين في شهادتهم على قيامة السيد المسيح فهذا ما بيّناهُ في مقالتنا الاولى. ولكن يا تُرى ألم ينخدعوا باخبارهم عن هذه القيامة؟ ألم يرووا ما رووا عن جهل او عن تخيُّل ووهم دون ان يتثبّتوا في صحّة هذا الامر العجيب فاشاعوا بين الناس ما كانوا يحسبونهُ الحقيقة وهو في واقع الحال امرٌ فريٌّ سوّلتهُ للرسل مخيّلتهم او ظنونهم الباطلة

(قلنا) لا شكَّ في انَّ الرُّسل صرَّحوا جهارًا امام الجموع وبازاء مجلس امّتهم المتألف من رؤساء الشعب والشيوخ والكهنة والاحبار انَّ الذي انطقهم واجبرهم على المناداة بقيامة يسوع الناصريّ بعد ان قتلهُ اليهود هو انّهم رأوهُ ممتلئاً من الحياة وسمعوهُ يخاطبهم وجسّوهُ بايديهم مرارًا وآكلوهُ وشربوا معهُ

فمن شاء ان ينكر انطباق هـذا القول على الحقيقة ليس لهُ ان يقدّر الّا تقديرين:

١ (الاوّل) انَّ الرسل رأوا المسيح حقيقةً لكنَّهُ لم يمت في آلامهِ. (والثاني) انَّ المسيح مات حقًّا امَّا قيامتهُ فلا حقيقة لها الّا في مخيَّلة تلامذتهِ الذين صدَّقوا اضغاث احلامهم ونزَّلوا مرغوباتهم ومشتهياتهم منزلة الحقيقة

١ (مات المسيح حقًا) ان حاول احد ان ينكر موت المسيح ليبطل حقيقة قيامتهِ لا يخلو ان يلتجئ الى احد القولين: احدهما انَّ الذي مات ودُفن لم يكن السيّد المسيح نفسهُ بل شخص غيرهُ هو شبههُ. والآخر انَّ المسيح أُنزل من على الصليب وجُعل في القبر وفيهِ رمقٌ فعولج من جراحاتهِ وشُفي ثم ظهر لتلاميذهِ الذين بسذاجة عقولهم صدَّقوا قيامتهُ على مثال ما جرى للقديس سبستيانوس الشهيد الذي رُشق بالسهام فتوهَّم اعداؤهُ انهُ مات لكنهُ لم يمت حقيقةً فعالجتهُ امرأة صالحة فلما شُفي رآهُ ديوقلسيانوس الملك فدهش وظنهُ قام من الموت

ولا حاجة هنا لنبطل القول الاول لانهُ تخيُّل لم يبالِ بهِ علماء النصرانيَّة ليدحضوهُ

امَّا القول الآخر اي ان السيّد المسيح لم يمت فهذا لا يُمكن التسليم بهِ لانَّ الأعذبة التي قاساها في مدَّة آلامهِ كان من الواجب ان تُميتهُ فمن بعد عرق الدم والجلد والتكليل بالشوك جاء الصلب على الكيفيَّة التي استعملوها بالمسامير كافيًا وافيًا لاماتتهِ. ولنا على حقيقة هذا الموت ادلَّة دامغة عديدة صرَّح بها الصالبون وسائر الذين شاهدوا الفاجعة المحزنة . فقد كان هناك يوحنا الحبيب ومريم وسائر النسوة وغيرهم. امَّا يوحنا فيؤكد انهُ شاهد يسوع قد اسلم الروح وذكر الوقائع التي صاحبت ووليت وفاتهُ واطال في مسألة شهادتهِ لانهُ راى كل شيء بعينهِ فقال : « الذي عاين شهد وشهادتهُ حق وهو يعلم انهُ يقول الحق » (يوحنا ١٩: ٣٥). ولم يكتفِ يوحنا بتأكيد هذا الخبر بل ذكر ايضًا كيف ان اليهود اكدوهُ قائلًا انهُ لمَّا كان اليوم الثاني موافقًا لعيد الفصح ولا يجوز في مثل هذا اليوم العظيم عذاب المجرمين وإبقاؤهم على الصليب. وبما ان المصلوبين من وجه آخر لا يجوز انزالهم عن الصلبان قبل ان تفارقهم ارواحهم أمر اليهود الجند الواقفين هناك بان يُجهزوا على المحكوم عليهم فبادروا وكسروا ساقي اللصَّين وامَّا يسوع فبما انهم تأكدوا موتهُ بمحضر من الكهنة لم يجدوا لكسر ساقيهِ داعيًا لكنَّ واحدًا من الجند طعن صدرهُ بحربة خرقتهُ من جانب الى آخر (يوحنا ١٩: ٣٤). فهب انهُ لم يكن مات فان هذه الطعنة كانت تجهز عليهِ لا محالة

ثم ان يوسف الذي من الرامة لمَّا دخل على بيلاطوس وسألهُ جسد يسوع ليدفنهُ

استدعى بيلاطوس قائد المائة الذي انفذ حكم الصلب واحبَّ ان يتأكد منهُ موت يسوع فاخبرهُ بحقيقة الحال التي شاهدها بعينهِ ومن ثم فبناءٌ على شهادة علنيَّة ورسميَّة اذن بيلاطوس الى يوسف الرامي في دفن الجسد

ثم ان دفن يسوع هو دليل آخر على حقيقة موتهِ لانَّ العقل لا يقبل اصلاً ان اليهود الذين كانوا يبغضون يسوع كلَّ هذا البغض يرضون بترك غريمهم قبل ان يتأكَّدوا وفاتهُ التأكد التام. ولا يُعقل انهم لمَّا جاؤوا وختموا القبر لم يفحصوا الجثة التي اودعت فيهِ ويتحقَّقوا كونها هي جثة يسوع بالذات. ولا ريب ان اصدقاء يسوع لو شاموا ايضاً اقلَّ بارقة امل في اعادتهِ الى الحياة لما كانوا بادروا الى دفنهِ واهملوه يوم السبت بكاملهِ دون علاج. ولو قدَّرنا المستحيل وقلنا انهُ كان حيًّا لوجب ان يموت لا محالة بعد ان حنَّطوه بالمرّ والصبر والطيوب ولفُّوه باللفائف الكثيرة على حسب عادة اليهود في ذلك الزمان

فمن ذا الذي بعد ما عدَّدناه من الادلَّة يكابر وينكر الحقّ الواضح ؟

٢ (ليست قيامة المسيح وهميَّة) بقي التقرير الثاني وهو انَّ يسوع وان كان قد مات لكنَّهُ لم يقم من القبر وهذا ايضاً منقوض. نعم ان منكري القيامة يعوّلون عليهِ ويكررونهُ على مثال اولئك الذين في ايامنا اذا تكلموا عن شيء يختصّ بالديانة او بحياة القديسين ينسبونهُ الى الوهم والهستيريا وما شاكل ذلك غير انَّ قولهم لا يقوى على دكّ الحقيقة الظاهرة. فلِمَ نبحث عن صحَّة قولهم. يدَّعون ان التلاميذ لمَّا كانوا قد سمعوا المسيح يتكلَّم على القيامة وكان لهم من وجه آخر اعتبار زائد لقدرتهِ على اتيان المعجزات توهموا ان مثلهُ لا يمكن ان ينتصر عليهِ اعداؤهُ انتصاراً تامًّا ولهذا كانوا يتوقَّعون من وقت الى آخر ظهوره ظافرًا وكانوا يتبادلون هذا الفكر ويتحدثون بهِ حتى آل بهم الامر الى الاقتناع بتحقُّق ما كان يختلج في اذهانهم

(قلنا) ونحن ايضاً لا ننكر الوهم وفعلهُ في الادمغة ولكن نقول انهُ من السهل التفريق بين من تسطو عليهِ المخيلة وبين من يتكلَّم ويعمل دون ان يكون للغرور ادنى تأثير عليهِ. واذا طالعنا اقوال الرسل وبحثنا فيها بحث منتقد نرى ان قيامة يسوع لم تكن تخطر لهم على بال ولهذا قاوموها في بادئ الامر وأبوا ان يصدّقوها مخافة ان يقال عنهم ان الوهم عمل فيهم. وكانت الانفعالات التي تركتها في انفسهم الأيام السابقة قد

انستهم ايضاً نبوّة يسوع التي سمعوها قبلاً ولكن دون ان يفهموها (يوحنا ٢٠ : ٩)

وكذلك النسوة القديسات لم يكن ليخالج افكارهنَّ امر القيامة بدليل انهنَّ في صباح الاحد بكرنَ الى القبر حاملات ما اشترينهُ من الطيوب اكالاً لتحنيط يسوع وكنَّ قلقات ومنزعجات يفكرنَ في من يدحرج لهنَّ الحجر. ولكن وجدن على غير انتظار ان القبر قد انفتح وان جسد يسوع غير موجود فيهِ. فلو كنَّ يرجونَ القيامة من قبل او يفكرنَ فيها لفرحنَ وابتهجنَ ولكنهن بعكس ذلك وقفنَ خائفات متحيرات. ثم ان المجدليَّة غادرتهن واسرعت الى اورشليم مخبرة بما ظنتهُ خرقاً لحرمة القبر قائلت: « قد اخذوا الربَّ من القبر ولا نعلم اين وضعوهُ » (يوحنا ٢٠ : ٢). وعادت بعد ذلك مسرعة وقد ثقل عليها الحزن فجلست تبكي على باب القبر وتفتكر في الذي سرق الجسد وتجدد عزيمتها على البحث عنهُ. وجاء اثر ذلك سائر النسوة واخبرنَ انهنَّ وجدنَ القبر خالياً لكنهن شاهدنَ ملاكين اخبراهنَّ بان يسوع قد قام وامرهنَّ بابلاغ الخبر الى التلاميذ غير ان التلاميذ حسبوا ان النسوة قد سطا عليهنَّ وهم او غرور فعدوا كلامهنَّ كالهذيان ولم يصدقوهنَّ (لوقا ٢٤ : ١١). وفي هذه المدَّة قام بطرس ويوحنا ولحقا بالمجدليَّة فتأكدا حقيقة قولها وخلوّ القبر من الجسد وبعد أن تطلّعا وفحصا حقَّ الفحص وشاهدا الاكفان موضوعة على حدة « انصرف بطرس متعجباً في نفسهِ مما كان » (لوقا ٢٤ : ١٢). وصرَّح القديس يوحنا انهم في ذلك الوقت لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب اي انهُ ينبغي ان يقوم المسيح من بين الاموات (يوحنا ٢٠ : ٩)

ثمَّ انَّ يسوع تراءى اولاً لمريم المجدليَّة ثم لسائر النسوة. ولمَّا عدنَ بعد ذلك الى القبر ظهر لهنَّ يسوع في الطريق بينما هنَّ راجعات غير ان التلاميذ لم يصدقوهنَّ في المرة الثانية كما لم يصدقوهنَّ في المرَّة الاولى. وكذلك التلميذان اللذان سارا الى عماوس لم يصدقا الخبر ايضاً رغماً عمَّا كانت الالسنة تناقلتهُ من الاشاعات في صباح النهار ولهذا تركا التلاميذ عائدين الى منازلهما فظهر لهما الرب في الطريق وعادا الى اورشليم مخبرين بما شاهدا غير ان الرسل لم يصدقوهما ايضاً (مرقس ١٦ : ١٣). وبينما كانا يتحدثان بما رأياهُ ظهر يسوع في وسط العلّية فخاف جميع من كان حاضراً وظنَّ انهُ يرى روحاً. واما يسوع فاجتهد في تسكين روعهم وتهدئة افكارهم وقال لهم: انظروا يديَّ ورجليَّ

اني انا هو. جسوني وانظروا فان الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لي». وبما ان الفرح والخوف كانا يتجاذبانهم لم يصدقوا تصديقاً تاماً حتى اتصل يسوع الى ان أكل امامهم سمكاً وعسلاً لاقناعهم بحقيقة قيامته

فهل ينطبق ما تقدَّم سرده على سلوك قوم استفزَّهم الوهم واغوتهم الرغبة في مشاهدة يسوع ولو قدَّرنا ان كل ما سمعوه كان موافقاً لافكارهم ورغباتهم فلماذا اصرُّوا على نبذه واطراحه الى ان شاهدوا باعينهم وجسوا بايديهم ؟ وان قيل ان الرسل لم يروا حقيقةً ولم يجسُّوا يسوع كما يدعون وجب ان يكون يقينهم القوي نتيجة مرَض او تخيال (hallucination) وهذا من المحال لاسباب

(اولاً) لان الخَبَل الحقيقي لا بد ان تصاحبهُ علة جسيَّة ولكن اغلب الرسل كانوا صيادين اشداء صابرين على المشقة اقوياء البنية كما تؤيد ذلك اعمالهم والاتعاب التي عانوها بعد ذلك. (وثانياً) لان الخبل يندر حدوثهُ ولا يمكن ان يصيب في وقت واحد افراداً كثيرين الا اذا كانوا مجموعين بسبب مرضهم. والحال ان الذين شاهدوا ظهورات يسوع لم يكونوا اشخاصاً منفردين بل ان عددهم يختلف بين اثنين وسبعة واحد عشر واكثر من ذلك حتى خمسمائة رأوا يسوع في وقت واحد وظروف واحدة. (وثالثاً) لان الخَبَل يختلف فعلهُ في المصابين بهِ ولا يمكن وجود اثنين منهم يريان شيئاً واحداً بنوع واحد. والحال ان الرسل كانوا كلما اجتمع عدد منهم يرون جميعاً شيئاً واحداً بنوع واحد. (ورابعاً) لو كان الرسل جميعاً من المُختَبَلين ولو ان المسيح لم يظهر لهم حقيقةً لبقيت الجثة في القبر ووجب القول بان الرسل (الذين تقدم الاثبات بانهم صادقون في شهادتهم) لم يسعوا باخراجها منهُ بالحيلة والمكر. ولو كان هؤلاء المبشرون الجدد الذين حركوا اورشليم كلها بحكاية القيامة قوماً مجانين او مرضى فما هو السبب لضربهم بالقضبان والتشديد عليهم بملازمة السكوت ؟ أفما كان الاجدر اعلان جنونهم للشعب بدلاً من هذه المعاملة ؟ أفما كان الاولى فتح القبر واخراج الجثة ليراها الكل ؟ اما كان اليهود تلافوا انخداع ثلاثة آلاف رجل باول كرازة لفظها القديس بطرس وخمسة آلاف آخرين بكرازة ثانية. ولكن الحقيقة متى ظهرت وبهرت بسناها تضيع الوسائل في كتمها. وبناء عليه فان الرسل لم ينخدعوا ولم يخدعوا وشهادتهم صادقة يؤيدها واقع الحال ويسوع قد قام حقاً من بين الاموات

٢

اثبتنا في القسم الأوَّل من مقالتنا انَّ قيامة المسيح امرٌ راهن مقرَّر لا يمكن انكارهُ فبقي علينا ان نبيّن انَّ هذه المعجزة دليل لامع وبرهان قاطع على لاهوت المسيح

والحقُّ يقال انَّ هذه النتيجة ناجمة عن المقدَّمات السابقة كالزهر من نباتهِ والمعلول عن علَّتهِ. قل لي رعاك الله ان كانت شهادة الرُّسل صادقةً ليس فيها غشٌّ وكان مع ذلك علمهم بقيامة سيّدهم مطابقًا للواقع لا يخالجهُ ادنى ريب أفلا ينبغي على كل عاقل يطلب الحقيقة ان يصدّق هذه المعجزة فيقول « انَّ اصبع الله لهاهنا » اذ انهُ من المُستحيل ان يحدث في عالم الكون امرٌ غريبٌ كهذا يفوق طور القوى البشريَّة دون توسُّط القدرة الالهيَّة لانَّ الله وحدهُ يمكنهُ ان يبعث الموتى. وان كان الله اقام يسوع من الموت فهو على الاقلّ رجل محبوب عند الله مؤيَّد بقوتهِ تعالى مُرسل منهُ ونبيُّهُ

ولكنَّ هذا غير كافٍ فان قيامة المسيح تبيّن انهُ ليس هو فقط نبيًا كسائر الانبياء الذين سبقوهُ او الاكبر بينهم لكنَّهُ ايضًا ابن الله الحيّ وإلهٌ حقٌ. كيف لا وقد شهد قائد المئة الوثني بهذا الامر لمَّا عاين المسيح يُسلم الروح وهو صارخ بصوت عظيم (مرقس ١٥ : ٣٩) : « في الحقيقة كان هـذا الرجل ابن الله » . فان كان موت المسيح اضطرَّ ذلك القائد على الإقرار بان المسيح هو ابنُ الله افليس أحرى بالعاقل ان يقرَّ بذلك اذا ما تحقَّق قيامتهُ من الاموات

ولا جرم لانَّ المسيح لم يكن فقط سبق واخبر تلاميـذهُ بكل تدقيق عمَّا يقاسيهِ من الآلام والموت وانهُ يقوم في اليوم الثالث بعد موتهِ ولكن كان اعلمهم ايضًا بان قيامتهُ تتمُّ بمجرَّد قوتهِ دون ان يحتاج الى احد دونهُ حيث قال (يوحنا ١٠ : ١٧ و١٨) : « اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضًا . ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضًا »

بل زاد المسيح على هذا القول اذ جعل قيامتهُ هذه كبرهان قاطع على انهُ مُوفد من الله الذي هو ابنهُ . لأنهُ لم يُعلن بنفسهِ امام اليهود كنبيّ فقط لكن ايضًا كابن الله الحقيقي . ولمَّا دخل الهيكل وطرد منهُ الباعة وتصرَّف فيهِ كسيّد مطلق السلطة سألهُ اليهود ايَّة آيةٍ يريهم ليفعل هذا اجاب يسوع وقـال لهم (يوحنا ٢ : ١٩ — ٢١) : « انقضوا هذا الهيكل (وكان يعني هيكل جسدهِ) وانا في ثلاثة ايَّام اقيمهُ » .

ولمّا طلب اليه اليهود مرّةً أخرى (متّى ١٢: ٣٨—٤٠) ان يُريهم آيةً يثبت بها انهُ المسيح ابن الله كما زعم اجابهم قائلًا: «انَّ الجيل الشرير الفاسق يطلب آيةً فلا يُعطى آيةً الّا آية يونان النبي لانهُ مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلاثة ايّام وثلاث ليالٍ» كانَّ السيد المسيح بقوله هذا لا يحسب شيئًا كل معجزاته بالنسبة الى هذه الآية الكبرى الكافية لتثبيت مدّعاهُ

وماذا يا ترى ادّعى المسيح؟ أانهُ فقط مرسل من الله او نبيٌّ؟ لا لعمري وانّما يدّعي شيئًا هو فوق كل ذلك يدّعي انهُ ابن الله الحقيقيّ. وهذا يكرّرهُ مرارًا عديدة باصرح كلام دون مجاز او استعارة البتّة. طالع رعاك الله مثل ربّ البيت (متى ٢١: ٣٣ الخ) الذي ضربهُ المسيح لليهود حيث قابل بين المرسلين المختلفين الذين ارسلهم الله الى عَمَلتهِ وهو يدعوهم عبيدًا وبين ابنهِ الذي ارسلهُ آخرًا بقوله: «انّهم يهابون ابني». أفلا يتّضح من هذا المثل انَّ المراد بالعبيد الانبياء السابقون وبالابن المرسل آخرًا المسيح نفسهُ وان هؤلاء العملة الذين لم يقباوهُ هم اليهود. وقد ادرك اليهود قصدهُ «لانّهم همّوا ان يمسكوهُ ولكنّهم خافوا من الجموع لانهُ كان يُعَدّ عندهم نبيًّا»

وكذلك لمّا عاين يسوع ذلك الاعمى الذي ابرأهُ (يوحنّا ٩: ١ الخ) فطردهُ اليهود من مجمعهم طلب منهُ بوجهٍ صريح ان يعتقد بكونهِ ابن الله قائلًا: «اتؤمن بابن الله». ولمّا آمن الاعمى بذلك لم يصدّهُ الربّ عن السجود لهُ. وهذا الايمان نفسهُ قد طلبهُ من مرتا اخت لعازر قبل ان يقيم اخاها من الموت (يوحنّا ١١: ٢٦—٢٧)

ولمّا سأل يومًا تلاميذهُ (متى ١٦: ١٣—١٩) ماذا يقول الناس عنهُ ثم اردف قائلًا: «وانتم من تقولون انّي هو» اجاب سمعان بطرس قائلًا: «انت المسيح ابن الله الحيّ». فليس فقط لم يكذبهُ السيّد المسيح لكنّهُ ايضًا طوّبهُ واعلن ان قولهُ هذا كشفهُ لهُ الآب السماوي وجازاهُ عن ايمانهِ بان اعطاهُ مفاتيح ملكوت السماوات وجعلهُ صخرة يبني عليها كنيستهُ

لكنَّ السيّد لهُ المجد لم يشهد بكونهِ ابن الله الحيّ شهادةً اصرح واجهر منها يوم اعلانهِ بالامر بازاء محفل احبار اليهود ورؤساء الشعب الملتئمين ليحكموا عليهِ بالموت وهم ينتظرون منهُ كلمةً توجب قتلهُ. فلمّا سألوهُ اهو حقيقة ابن الله الحيّ كما

زعم. اجاب وقال لهم « اني انا هو » وزاد على قوله انهُ هو المُدان في ذلك اليوم سوف يأتي على سحابة السماء ليدين العالمين (لوقا ٢٢: ٦٦—٧١)

ولم يكتفِ السيّد المسيح بان يصرح علانيةً بكونهِ ابنًا لله الحيّ ولكن نسب الى نفسهِ كلَّ صفات اللاهوت كالازليَّة (يوحنَّا ١٧: ٥) والقدرة التامَّة كالآب (٥: ٢١) وانهُ والآب واحد (١٠: ٣٠) وانَّ ما للاب هو لهُ (١٧: ١٠) وانهُ ربُّ السبت (متى ١٧: ٨) ثم تراهُ يغفر الخطايا باسمهِ كالله (مرقس ٢: ٥—٧) ويطلب الاكرام الواجب لله (يوحنَّا ٥: ٢٣) ولا يزجر تلميذهُ توما لمَّا اضطرَّهُ الحقّ فاعترف بقيامة سيّدهِ ولاهوتهِ قائلًا لهُ: « ربّي والهي » بل اعلن بان الطوبى للذين يؤمنون بهِ دون ان ينظروهُ

فهذا الايمان بلاهوت المسيح كان كما ترى المحور الذي عليهِ دارت كل حياتهِ وبشارتهِ وتعاليمهِ

فان كان هذا هو حقيقة مُدّعى المسيح وهو مع ذلك ليس بابن الله كما قال لنتج من قولهِ امَّا انهُ مجنون او انهُ مجدِّف وكلا القولين باطل. كلَّا ليس المسيح بمجنون يجهل ما يقول وما يفعل مع ما نعلم من حياتهِ الصالحة واعمالهِ الشريفة وحكمتهِ السامية وشهادة اعداء النصرانيَّة انفسهم عنهُ وهم كلّهم يعتبرونهُ كرجل عظيم وحكيم ذي مدارك سامية. وليس هو بدجَّال مجدِّف مع ما يُعرف من فضائلهِ الفريدة وآدابهِ الطاهرة وتعاليمهِ التقويَّة التي يقرُّ لها كلُّ من لم تُعمهِ الاهواء كاليهود. فلا يبقى اذن الَّا القول بان المسيح هو حقيقة ابن الله. لانهُ ليس بين هذين الطرفين وسط امَّا ان نقرّ بلاهوت المسيح او نعتبرهُ كآخر الناس واخسّ البشر واعظم الدجَّالين اذ خدع العالم بقولهِ انهُ اله وهو ليس بهِ. فكيف والامر كذلك امكن الله ان يقيم هذا الخدَّاع من بين الاموات ويرمي بهذه المعجزة العالم في الضلال والغرور ويغوي العقول بتأييدهِ لقظيعة كهذه

فيرى القرَّاء ممَّا تقدَّم ما في حقيقة القيامة من البرهان لمعتقد لاهوت المسيح. فان كان يسوع الناصري قد قام حقًّا كما بيَّنا في القسم الاوَّل وجب القول بانَّ اليهود حكموا عليهِ بالموت ظلمًا كما حقَّ القول بانهُ ليس بمجدِّف ولا دجَّال اذ لا يمكننا ان نبرئهُ من كلّ هذه الالقاب السيئة الَّا بالتسليم بانهُ حقيقة اله كما كرَّر ذلك في انجيلهِ الطاهر غير مرَّة

كلاَّ حاشا السيد المسيح ان يكون دجَّالاً وما قيامتهُ الاَّ حقيقةٌ لا ريب فيها اذ قام كما سبق وقال. وليست قيامتهُ فعلاً خارجاً عنهُ بتوسُّط بعض الانبياء او شفاعة احد الاولياء كما حدث في قيامة بعض الموتى لكنَّها فعلهُ الشخصيّ اذ لا نرى احدًا عند قبرهِ سوى الجند والحرَّاس. نعم لو نزل المسيح من عن صليبهِ كما كان يدعوهُ الى ذلك اعداؤهُ متهكمين لكان بيّن سلطانهُ وصفة كونهِ ابن الله لكنَّ قيامتهُ بعد موتهِ ودفنهِ بملء القوَّة والحياة لآيةٌ اعظم وادلّ على لاهوتهِ. كما انَّ شمشون يوم قطَّع الحبال الجديدة التي أُسِر بها بيَّن قوَّتهُ لاعدائهِ بيانًا اجلى من يوم قتلهِ للاسد وهو حيّ بعملهِ كذلك المسيح فانَّ انتصارهُ على الموت بعد ان مات ودُفن كان ابهر واشرف ممَّا كان لو دفع عنهُ الموت فقط وهو حيّ. وهذه القيامة تنطق بلسان حالها عن لاهوت السيد المسيح ليس فقط لانَّ المسيح كان جعلها كآيةٍ مؤيدة لقولهِ لكن ايضًا لأنَّها تدلُّ على قوَّة الهيئة لها وحدها ملء السلطان على الموت. وقد ثبت ايضًا بذلك انَّ المسيح اله وانسان معًا كما يقول النصارى. فهو انسان اذ قام من الموت الذي لا يدرك غير الانسان وهو اله اذ اقام نفسهُ بقوَّتهِ. قال القديس امبروسيوس: قد اظهر المسيح بقيامتهِ انَّ في اقنومهِ الواحد الانسان القائم من الموت والاله الباعث منهُ

فبكل حقّ اذن قلنا في اوَّل مقالتنا انَّ قيامة المسيح هي ادلُّ دليل واعظم شاهد على لاهوتهِ. وهذا ما علَّمهُ الحواريون كلَّ حياتهم. قال القديس بولس الاناء المصطفى في رسالتهِ الى اهل رومية (١: ٤): «حُدِّد (وفي الاصل اليوناني: أُعلن) يسوع المسيح ربُّنا ان يكون ابن الله... بالقيامة من بين الاموات». وقال ايضًا (اعمال ١٣: ٣٢-٣٣) وهو يذكّر اليهود بتمام الوعد الذي وُعد بهِ آباؤهم في المزمور الثاني: «قد اتمَّ الله الموعد الذي كان لآبائنا اذ اقام من الموت يسوع كما كُتب في المزمور الثاني: «انت ابني وانا اليوم ولدتك». وليس الكلام هنا كما يظهر عن ولادة الكلمة الازليَّة كالهٍ وقد كان ذلك في البدء قبل وجود العالم فيكون اذن المقصود انهُ اولدهُ باعلان قيامتهِ امام العالم فاظهر بذلك انهُ هو ابوهُ اذ كان من المستحيل ان هذا الانسان يقوم من الموت لولا انهُ حقيقةً ابن الله

ومن هنا ايضًا يلوح السبب الذي حمل الرسل على ان جعلوا سرَّ قيامة المسيح كاساس تعليمهم لا يعزفون مللاً في شهادتهم عن هذه العقيدة كما شهد في كتاب

الاعمال حيث قال (٤ : ٣٣) : « وبقوة عظيمة كان الرُسل يؤدون الشهادة بقيامة الربّ يسوع » . وكذلك لمّا ارادوا ان يختاروا رسولًا يقوم مقام يهوذا الاسخريوطي ليُحصى في جملة الاثني عشر لم يرضوا الّا برجل « يكون شاهدًا معهم بقيامة يسوع » (اعمال ١ : ٢٢) لانَّ هذه القيامة كانت لديهم كما هي الآن لدى النصارى باجمعهم البيّنة العظمى والحجّة المُثلى التي تفوق كل ما سواها من الحجج . ولذلك كان المسيحيون الاولون لا يدعون سرّ قيامة المسيح الّا « الشهادة » ولمّا ابتنى قسطنطين الكبير كنيسة كبرى فوق قبر المسيح لم يجد لها اسمًا احقّ بها الّا بان دعاها « مرتيريون » اي الشهادة . اذ انَّ هذا القبر الفارغ ينطق بافصح برهان وابلغ كلام عن لاهوت السيّد المسيح . وهذا ما يجعلهُ اشرف كلّ القبور التي في العالم فتمَّ بهِ قول اشعيا (١١ : ١٠) : « انَّ قبرهُ يكون ممجّدًا » بينا ترى بقيّة القبور تنطق بحكم الموت الذي يحفظ فيها غنيمتهُ وتجاهر ببطلان العالم وزوال جاهه وعظمته اذ كلُّ ذلك ينتهي في القبر . بخلاف قبر المسيح الذي انفتح بعد ساعات قليلة فخرج منهُ اسيره فسبى السَّبي ظافرًا ممجدًا لهُ الملك والعزّ الى ابد الابدين

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

فلمّا تأكّدت لانيش انَّ ابنتها بالرضاعة في امان لا يمضُّها في بيتها ناب الزمان عادت الى الجنينة حيث كانت يهوديت تتنسّم الهواء وتستنشق روائح الزهور واظهرت لها من الانس والملاطفة ما كان من شأنهِ ان يطيّب قلبها وينسيها كربها . وجعلت تذكّرها بما جرى لها في حداثة سنّها وتفكّهها باخبار واقوال عديدة لم تعِ لها يهوديت لوقوعها قبل بلوغها الرشد . وكانت لانيش لطيفة العواطف رقيقة الشعور تعدل عن كل ما يذكّر ضيفتها بنكبتها الحديثة وينكأ قرحتها النديّة قبل اندمالها وهي تنتظر ان تفاتحها يهوديت بخوافي قلبها لتداويها بمرهم السلوان

بيد انَّ يهوديت لما طُبعت عليه من الاباء والنفور لم تشأ ان تكاشف مُرضعها باسرارها وانّما كانت تدفن اوجاعها في صميم قلبها وقد اختلقت لها حجّةً لتعليل حزنها

الى جبيل مدّعيةً انها احبّت تغيير الهواء وترويح النفس واشتاقت الشوق العظيم الى ظئرها فضلًا عن انها اتت لتطلب لنفسها سلوانًا عمّا تقاسيه بسبب الاخطار التي تحيق بابيها في حاضرة اليهوديّة

فاعارتها لانيش سمعها وتظاهرت بانها تجهل حقيقة الامر الذي اوقفها عليهِ سلوانس

واستقصرت يهوديت ذاك اليوم الاوّل الذي قضتهُ في صحبة ظئرها لما رأتهُ من المناظر الجديدة وتجاذبتهُ من اطراف الحديث عن سني طفوليّتها. وكانت انقشعت في اثنائهِ غياهب حزنها حتى انّ الذي لم يكُ عارفًا بدفائن قلبها ما كان ليظنّ انّها ممنوّة باسى امرّ عيشها واكسف بالها لولا زرقةٌ حول عيونها كانت تدلّ على بكائها السابق. فكانت تبشّ في وجه ظئرها وتضحك لها وتداعبها كأنّها في احسن حال

لكنّ فرح يهوديت لم يكن ليبلغ صميم فؤادها وانّما كانت فقط لوائح تلوح على وجهها دون ان تؤثّر في قلبها. فلمّا ضرب الليل اطنابهُ وعرضت عليها لانيش ان تستريح من اتعاب الطريق فاعتزلت في غرفتها هاجت عواطفها ثانيةً وهطلت دموعها كالتهتان ثم تذكّرت والدها فصلّت الى الله لاجل عودتهِ بالسلامة وخطر على بالها اسم راسيوس الضابط لكنّها لم تتلفّظ بهِ وهي تشعر انّها لا تنساهُ ابدًا. امّا يوسف اخوها فلمّا عاد ذكرهُ الى مخيّلتها اضطربت من جرّائهِ حواسّها وكادت تتلفّظ بهِ لتلعنهُ الّا انّها تمكّنت من كبح بغضها فتغرت لهُ سوء معاملتهِ

*

وكانت الايام تمرّ في بيت لانيش اسرع من لمح البصر ويهوديت تذوق من العيش ارغدهُ ومن الراحة اهنأها في جوار ظئرها التي كانت تتحفّى بها وتعطف عليها كالامّ على ابنتها حتى عادت اليها قواها واندمل جرح قلبها

وكانت مع ذلك تترصّد الاخبار لتعرف ماذا حلّ بابيها وهل اخوها لا يزال بعد في بيروت. وبينا هي كذلك اذ وردها الخبر في اواسط شباط «انّ اباها صمونيل لم يخرج من اورشليم يوم باشر الرومان بمحاصرة تلك المدينة ... امّا يوسف فانهُ كاد يتميّز غيظًا لمّا علم بهرب اختهِ لكنّهُ لم يشأ ان يسعى في اثرها بل كان خرج من دارهِ ليرشف كاس اللذّات في مكان آخر»

فلمّا وقفت الفتاة على هذه الاخبار تنفّست الصعداء. وتجدّد في قلبها الاسى على ابيها وبقيت في حيرة يتنازعها عاملا الرجاء والخوف فتارةً تسلّي نفسها بالظنّ انَّ اباها لا يعرّض بنفسهِ لاخطار الحرب والحصار وتارةً يغلب على فكرها ان والدها بقي في حوزة العدوّ لم يستطع الفرار ليعود الى وطنه

امّا ابتعاد اخيها من بيروت فكان ممّا يسرّها ويفرج همّها ويسهّل رجوعها الى دارها ولكن خافت اذا عادت الى وطنها ان تبقى في دارها معتزلةً لا انيس لها ولا جليس تشاطرهُ الاحزان. فكان هذا الفكر يفتّ في عضدها ويكدّر صفاء عيشها. ومن ثمَّ عزمت على ان تبقى مدّةً في جبيل عند ظئرها حيث وجدت من الراحة والتعزية ما اربى على كلّ آمالها

وكانت يهوديت تجد في جبيل عدّة امور تستلفت انظارها كآثارها القديمة وابنيتها الفخمة وعادات اهلها ترى كل ذلك بالرغبة وقرار العين. وكان يأخذها الانذهال عند نظرها هياكل الوثنيين وعظمة مقاماتهم الدينيّة وكلّها مبنيّة بالوان الرخام ومزيّنة بتماثيل آلهة اليونان والفينيقيين في جملتها دُمى البعل وتمّوز حتى انّها كادت تستحي من كنيس اليهود المشيَّد لذوي نحلتها في جبيل كلّما كانت تقابلهُ مع هذه المباني القاخرة التي تزدحم في صحنها الجموع

وكانت تستعظم هيكل عشتاروت وتتردّد الى رواقهِ الجميل وتنظر الى الجبيليين يفدون الى هيكل تلك الإلهة الشهيرة ويقرّبون لها قرابينهم ويضحّون الضحايا امام الرمز المشير اليها وهو عبارة عن حجر مخروط منصوب بازاء الهيكل

ولمّا كان شباط على وشك الانتهاء واخذت الارض زخارفها وجعل الربيع يزيّن الرُّبى والاودية بحلاهُ الطبيعيَّة اذ حان موسم موت الاله ادونيس او تمّوز وهو عيدٌ كان لهُ شهرة عظيمة يتقاطر اليهِ الزوّار من كل أوب

فدخلت يهوديت بيت احد سكّان البلدة من اصحاب لاتيش ظئرها لتنظر موكب عبدة الاله دون ان يراها احد. فلمّا حانت الساعة رأت القوم في هياط ومياط كأن المدينة كلّها استفزّتها الحميَّة الدينيَّة لتحتفل بموت إلهها. وكان يتقدّم الموكب صفوف من الفتية والفتيات وكلّهم يصرخون ويولولون كأنّهم فقدوا اعزّ الاصحاب. وكان يليهم عذارى يحملنَ على رؤوسهنّ اطباقاً ومعاطف فيها اجناس الزهور والاثمار واصناف

الطيوب والافاويه التي تُهدى للاله الميت. وكان يمشي وراء العذارى نساء لابسات الحداد عليهنَّ السرابيل الطويلة بلا مناطق يُظهرن من الالم اشدَّهُ وهنَّ يضربنَ صدورهنَّ ويخدشن وجوههنَّ ويُعولن على ايقاع الجنك. وكان خلفهنَّ تمثال الاله تموّز يحملهُ الكهنة على جنازة يُرى صريعاً على نعشٍ وجنبهُ يقطر دماً كما تصوَّروهُ بعد ان قتلهُ الوحش الضاري في مشارف لبنان. وكان الحضور اذا رأوا هذه الصورة يعلو ضجيجهم ويذرفون البكاء المرّ

وكانت هذه الجلبة تتزايد وتنمو كلّما كان القوم يقتربون من نهر الاله فيغمسون التمثال في المياه التي يزعمون انَّها تحمرُّ ممَّا يسيل فيها من دم تموّز

وكان الجمهور اذا عادوا من النهر الى الهيكل يغيّرون هيئتهم ويتهلّلون باصوات الافراح وينشدون الاناشيد المؤذنة بقيامة الاله ادونيس من الموت ويرقصون الرقص الخلاعيَّ فينتهي نهارهم على هذه الصورة

وكانت يهوديت تنظر الموكب راقبة كل حركات عبَدة الصَّنم فشعرت بما اثار في نفسها عواطف الحنان على تموّز قتيل الصيد وذكّرها حزن الزُّهرة ببعض احوالها مع الضابط الروماني. الّا انَّ جبينها نديَ خجلًا لمَّا عاينت القوم عائدين الى ديارهم في الخَلَيطى كأنَّ الخمرة لعبت في رؤوسهم نعرتهم من كل شواعر الحياء والادب. فادركت ما في الشرك والوثنيَّة من ساقط المتاع اذ يرتكب اصحابها كلَّ محظور ومحروم لا يردعهم حجىً ولا يكفُّهم تورُّع. فأنفت من هذه الارجاس ولم تَعُد تنظر اليها الّا بعين البغض والنفور. بل زادها ذلك اعتبارًا لدين اجدادها لما تجد فيهِ من عظمة الخالق وسموّ عزَّتهِ وجليل صفاته فحاشاهُ تعالى ان يرضى باسرارٍ سمجة كما مثَّلها كهنة الاوثان في جبيل

ومن ثمَّ عادت الى الهذيذ بتوراة موسى الكليم والتأمّل في اسفار انبياء اسرائيل وكان قلبها يجد في مطالعة مزامير داود ارتياحاً وسلاماً فتردّدها بالصلاة رافعةً الى الله عواطف نفسها ومقدّمةً لهُ مراسيم سجودها

وممَّا كان يؤثّر فيها عند نظرها في كتب الله المنزلة ما تراهُ من النبوّات عن مسيح الله الذي وُعد بهِ شعبُ اسرائيل فتتمنَّى ان ترى ملكهُ منتشرًا في اقاصي الارض كما جاء في اشعيا النبيّ وفي سفر دانيال وخصوصاً في زبور النبيّ داود

وبينا كانت يهوديت تقضي هكذا أيامها في مطالعة اقوال الانبياء اذ مرت يوماً عند المساء امام بيت حقير كان يتوارد الى بابه قوم على وجوههم سمة الورع والتقى فوقفت هنيهةً وقد اخذ منظرهم في مجامع قلبها. وهي لكذلك اذ سمعت اصوات المصلين فاصغت اليهم لعلها تميّز شيئاً من منطوق صلاتهم. واذا بهم يتلون مزامير داود ولكن بايّ عبادةٍ ووقار ! كأنَّ كلام الله في افواههم شهد العسل تزيده حسناً اصواتهم الشجيّة ونغماتهم التقويّة

فبقيت مدّةً مطرقةً كأنها خُطفت بالروح الى عالم آخر ولولا خوفها ان يدركها الليل في مكانها لما كانت انصرفت قبل تمام الصلاة. ولمّا عادت الى بيت ظئرها اخبرتها بما جرى لها قائلةً: « اني في هذا المساء وجدتُ في باطن قلبي نعيماً لم اعهده قبل اليوم كأني ظفرت بكنز دفين اسعد حياتي »

فسمعت لانيش كلامها وهي تبشّ في وجهها لأنها كانت تعرف البيت الذي وطئتهُ يهوديت وتعلم بقصته واهله فاحبت ان تُطلع ضينتها على اخباره الصحيحة فقالت:

« قبل يومنا هذا بنحو ثلاثين سنة قدم علينا في جبيل رجل كهلٌ تلوح عليه لوائح الفقر وسذاجة العيش وكان البعض يدعونهُ بطرس والبعض يسمّونهُ سمعان. فدخل المجمع في احد السبوت ثم افاض امام اليهود المجتمعين في الكنيس في ذكر نبيٍّ يدعى ايشوع زعم انهُ ابن الله وانهُ هو احد رسله. وقد اخبر المذكور عن نبيّه اموراً عجيبة وذكر ترجمة حياته منذ ولادته الى موته مصلوباً وختم كلامهُ بقوله انَّ الميت قام وتراءى لتلاميذه ثم صعد الى السماء بعد ان اوصى رسلهُ بان يبشّروا باسمه في اربع خوافق العالم

« ذلك ما بشّر به بطرس في المجمع. لكنَّ اليهود تشكّكوا من جرّاء قوله وطردوه من المدينة. على انَّ هذا المذهب الجديد لم يتوارَ معهُ بل وجد لهُ في جبيل تبعةً لاسيّما مُذ تولّى امرهم احد تلامذة سمعان بطرس يُدعى مرقس (١ ابتنى لهم قبل عشر سنوات ذاك المصلّى الحقير الذي رأيته »

كانت يهوديت في اثناء كلام ظئرها تسمع صاغيةً واعية وهي تتذكّر ما رأتهُ

١) مرقس هذا هو الذي دُعي في كتاب الاعمال (ف ١٥) باسم يوحنا صار اوّل اسقف على جبيل (راجع الشرق المسيحي للوكويان ج ٢ ص ٨٢١).

من امر هؤلاء النصارى في بيروت وكان في دارها منهم بعض عبيدها لم تلحظ في سيرتهم وآدابهم شيئاً يريبها في حقهم. وقد زادها كلام لانيش رغبةً في دينهم الّا انّها كانت تنفر وتشكّ في صحّته اذا ما فكّرت في موت صاحبه على صليب العار وما لحق به من الذلّ والهوان فتأبى ان تقرّ بكونه هو المسيح الموعود الذي صوّره الانبياء ككلك فتّاح

ومع ما كان في قلب يهوديت من الشكوك والريب كانت تشعر بجاذب يجذبها الى البيت الحقير الذي رأتهُ. فطاوعت ميلها ورجعت اليه يوماً كان يصلّي فيه القوم. وارادت هذه المرّة ان تدخل المصلّى وتحضر الصلاة لتراقب المصلين. فكان تأثيرها اعظم من الدفعة الاولى. وممّا عمل قلبها صورة شهدتها في صدر المعبد كانت تمثّل امرأة تلوح على وجهها لوائح الوقار والطهارة والحلاوة مع شيء من الحزن. فسألت: ما هذه الصورة فاجابوها: «هي صورة امّ ايشوع المدعوة مريم» ثمّ اخبروها بترجمة حياة العذراء امّ الله والبشر معاً

فبقي ذكر هذه الصورة مطبوعاً في قلب يهوديت يتبعها ليلاً مع نهار. وكانت لا تفكر فيها حتى تشعر في نفسها عواطف الحبّ كأنّها تجذبها الى الصلاح والفضيلة غير ان قلب يهوديت لم يكُ بعد صافياً نقيّاً لتتبع آثار قوم يعيشون للآخرة اكثر منهم للارض وملاذّها الباطلة (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S^t^ Jean Chrysostôme et les mœurs de son temps

par Aimé-Puech, *Paris, Hachette*, VIII-334

القديس يوحنّا فم الذهب وآداب عصره

هذا تأليف منحت جمعيّة العلوم الادبيّة في فرنسة صاحبهُ جزاء سنيّاً لما وجدت فيهِ من دقّة الانتقاد وسعة المعارف. وغاية المؤلف كانت ان يستخلص من اعمال القديس فم الذهب كلّ ما تضمّنتهُ من الفوائد لتعريف اهل زمانهِ وعادات

عصره وآداب مواطنيه السوريين . ومما اعجبنا في خلال مطالعتنا لهذا الكتاب ان مولفهُ مولعٌ بحبّ القديس العظيم والخطيب المصقع الذي حاول درس كتاباته قرّاء يجيد الحكم في انتقاده على تآليف يوحنا فم الذهب كما انهُ اعلن سموَّ الفضائل التي ازدان بها في حياته كلها مع ما تقلّب فيه من الاحوال الخطيرة والمناصب الشريفة . وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب من التآليف الحريَّة بالثناء التامّ اللهمَّ الَّا في بعض الامور التي تعدَّى فيها الكاتب طورهُ فاراد ان ينزّل نفسهُ منزلة اللاهوتيين وهو لم يدرس اللاهوت فخاض في ميدان ليس هو من فرسانه . وعلى كلّ حال أننا نثني على همّته ونودّ لو تتقفى آثارهُ اهل بلادنا فاعملوا النظر في مصنّفات ذلك اللفان الذي شرّف اوطانهم واغناهم بكنوز آدابه ومعارفه ف . ب

Voyage d'un faux derviche dans l'Asie Centrale
par A, Vambéry, *traduit de l'anglais, nouvelle édition. Hachette*, pp. 404

رحلة ڤمبري الى اواسط آسية

انَّ صاحب هذه الرحلة رجلٌ من المجر يُدعى ڤمبري كان يحبّ الاسفار اراد ان يحرز لهُ اسماً بوصف بلادٍ لم يسبقهُ اليها احد من الاوربيين . فطاف مدَّة سنتين البلاد الواسعة الواقعة في اواسط آسية وهو لابس زيّ الدراويش فامكنهُ بذلك ان يتجوَّل في بلاد بخارا وتركستان وما يجاورهما ويصف احوال اهلها وعاداتهم وآدابهم وقد سطر ذلك كلَّهُ في رحلةٍ كتبها واخبر فيها كلّ ما جرى لهُ . وهذا الكتاب الذي طُبع اوَّلاً بالانكليزيَّة نُقل الى الفرنسيَّة وطُبع اوَّلاً في مطبعة هاشيت الشهيرة . ثمَّ جُدد طبعهُ على حجم أكبر مع صور عديدة بحيث صار الكتاب جامعاً بين اللذَّة والفائدة

HISTOIRE DES ISRAÉLITES
par Th. Reinach, 2e *ed., Paris, Hachette* 1901, pp. XVI-408

تاريخ الاسرائيليين منذ فقد استقلالهم

فقد اليهود استقلالهم بعد خراب هيكل اورشليم على يد الرومان فتشتَّت شملهم وذهبوا تحت كل كوكب فتمَّت بهم نبوَّة المسيح وصدقت اقوال الانبياء الاقدمين . وقد سعى بنو اسرائيل مراراً ان يجمعوا كلمتهم دون أن يتوفَّقوا الى ذلك . وعليهِ فلا شيء

اصعب من كتابة تأريخ قوم عباديد ليس بينهم رابطة الوحدة اللهمّ الّا دينهم . بيد انّ المسيو ريناخ العالم الموسوي الشهير تمكّن من جمع كثير من اخبار اليهود المتفرّقين في انحاء اوربَّة فادرجها في هذا الكتاب وهو يبتدئ باخبار قومهِ بعد الفتح الاورشليمي سنة ٧٠ للمسيح ويواصلها الى عهدنا . ولا حاجة الى القول انّ مؤلف هذا الكتاب يمزج الحلّ بالخمر ويدافع عن اهل جلدتهِ في كلّ اطوار تاريخهم وربّما تظلّم من الشعوب النصرانيَّة لاساءتها العمل الى اليهود لكنَّهُ نسي ان يُدوّن شكايات النصارى المتعدّدة في حقّهم . ومن كانت هذه خطَّتهُ في كتابة التاريخ او بالحري في تزويرهِ فكيف يوثق بقولهِ ل . ش

شذرات

اشعَّة رنتجن في اليابان — من مرويّات البشير انّ الحكومة اليابانيَّة رأت ان كمّيَّة وافرة من الذهب والفضَّة تُسرق كلّ سنة من دار السكَّة دون ان يعلم احد بسارقيها . وذلك ان العملة كانوا يأخذون القطع فيبتلعونها حتى اذا عادوا مساء الى منازلهم اخرجوها بالمقيئات . وقد اطّلع آخرًا مديرو المحلّ على هذه الحيلة فألتجأوا الى اختراع رنتجن ليطّلعوا على ما يزدردهُ العملة من النقود . وفي كل مساء تؤخذ رسوم العمّال لتنجلي سرقتهم

الرسالات الكاثوليكيَّة في معرض باريس — كان معرض باريس سنة ١٩٠٠ خصّص قسمًا تُجمع فيهِ آثار الرسالات الكاثوليكيَّة الفرنسويَّة في كلّ العالم . وكان المرسلون اجابوا الى رغبة مديري المعرض فارسلوا من كلّ صوب مآثر عديدة من كل صنف حتى ضاق عنها القصر المختصّ بها . ولمَّا رأت اللجنات الفاحصة ان تجازي هذه الرسالات بقيت في حيرة من امرها لكثرة ما رأتهُ من المحاسن المستحقة الجزاء . وقد اكتفت الدولة الفرنسويَّة بان تمنح كلّ الرسالات اجمالًا جزاء فاخرًا وهو نوط ذهبي كبير يمثّل في احد وجهيهِ صورة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر وفي الآخر اسم الرسالات وتعريف الجزاء . وقد أرسل هذا النوط لقداسة الحبر الاعظم الذي سُرّ بهِ ايَّ سرور . وكان مع النوط شهادة على همَّة الرسالات الكاثوليكيَّة واعمالها

الشريفة التي أُرسلت الى المرض. وقد نالت رسالات الآباء اليسوعيين اسماً شرفياً. ولرسالتنا في بلاد سوريَّة ذكر خاص. وفي هذا الجزاء الممنوح من الدولة الفرنسويَّة شاهد ناطق على الخدم التي تؤدّيها الرسالات الكاثوليكيَّة للتمدُّن وخير الوطن. وهو احسن جواب لمن عيَّر الرهبان

﴿ اكتشاف آثار دينيَّة في رومية ﴾ قد اكتشف الآباء الترابستيُّون في ديرهم في رومية آثاراً ذات بال وهي كنيسة القديسين مرقس ومرقلينوس من شهداء القرن الثالث من اقدم كنائس النصرانيَّة. وهي على صورة صليب يونانيّ ولم تزل فيها نقوش وبقايا قديمة من جملتها مكان المذبح والكرسيّ الاسقفي. وزاد هذا الاكتشاف شأناً وخطراً بوجود قبر القديس العظيم والبابا الشهير داماسوس الاوَّل (٣٦٦—٣٨٤) بلاصقة قبر والدته لورنسيا المتوفَّاة في التسعين من سنها بعد ان كرّست منها لخدمة الربّ ستّين سنةً في الترهُّب كما يُستدلّ عليه بالكتابات الباقية على القبر

﴿ تقويم الكنيسة الروسيَّة ﴾ قد قدَّم آخراً وزير قيصر روسيَّة الى ملكه تقويم الكنيسة في روسيَّة. وهو يقرُّ فيه انَّ عدد الكاثوليك التابعين للطقس الشرقيّ (فضلاً عن اللاتين) لا يقلّ عن ٩٠٠٠٠. ونحن نعلم انَّ هذا العدد اعظم من ذلك رغماً عمَّا لحق بهؤلاء الكاثوليك من المحن الشديدة. وفي هذا العدد لم يُحصَ الذين نُفوا من البولونيين الى سيبريا وهم الوف مؤلَّفة. وفي كتاب جلالة القيصر الاخير ووعده بحريَّة الدين ما من شأنه ان ينعش آمال هؤلاء المساكين

﴿ شرائع حمُّورَبي ﴾ حمُّورَبي احد ملوك بابل كان معاصراً لابراهيم الخليل. وممَّا وُجد من آثاره في آخر السنة ١٩٠١ او في اوَّل السنة ١٩٠٢ مجموع شرائعهِ وُجدت مرقومةً على حجر من الديوريت في شوشن. وعلوّ الحجر متران و٧٥ سنتيمتراً في عرض متر و ٦٥ وفي اعلى الحجر صورة الاله شَمَس (اي الشمس) جالساً على عرشهِ وعند اقدامهِ صورة الملك حمُّورَبي كأنَّهُ يبحث في الشرائع التي سنَّها لهُ الالهُ. وقد قرأ العلاَّمة الدومينيكيّ الاب شَيل هذه الشرائع وترجمها فاقبل العلماء على درسها فوجدوا بينها وبين شريعة موسى توافقاً في امور عديدة وقد ظنَّ البعض انَّ ابراهيم الخليل لمَّا قدم من بلاد بابل اخذ معهُ نسخةً من هذه الشرائع فنقل منهـا موسى بعدئذٍ ما رأى فيهِ صلاحاً لشعب الله. والمظنون انَّ شرائع حمُّورَبي ليست من

تأليفه وانما جمعها فقط من شرائع سبقت عهده. والدليل على ذلك انهُ لم يرد فيها ذكر للشرك وتعدد الآلهة بل يُعرف فيها الاله الواحد الفرد. اما حمُّورَبي فكان مشركاً عابداً للاصنام بلا ريب

بطرس الرسول ولبنان قرأنا تحت هذا العنوان قصيدة جميلة بالافرنسيَّة نُشرت في « نشرة القديس لويس للموارنة » وهي منسوبة لماروني. والقصيدة المذكورة للاب يوسف غودار اليسوعي وهو ماروني القلب

اليسوعيُّون في حلب قرأنا في كتاب مطلع اليامن في غبطة البطريرك كيرلس الثامن الذي جمعهُ عبد المسيح بك انطاكي صاحب العمران شهادة في المرسلين اليسوعيين نقلها عن ملخَّص تاريخ الطائفة الملكيَّة الكاثوليكيَّة للمرحوم الخوري ميخائيل مظلوم. ولمَّا كان هذا الكلام احسن ردّ على مقالات صاحب العمران نكتفي باثباته هنا (ص ١٨):

« وظهرت في هذا التاريخ الرهبنة اليسوعيَّة بمظهر المدافعين عن الكنيسة الكاثوليكيَّة والمؤيدين لوحدتها وقد نمت جمعيَّتهم وازهرت وانتشر افرادهم في مشارق الارض ومغاربها وقد دخل سوريَّة عدد منهم جاؤوها للوعظ والارشاد وخدمة الانجيل ولمَّا وصل هؤلاء الى سوريَّة رأوا الكنيسة الانطاكيَّة في اسوإ الاحوال من التضعضع والضعف والجهل فاخذوا يرشدون ويعلمون ولم يصعب عليهم ان يروا انصاراً من الطائفة . . . وبقي الحال مدَّة سبعين سنة تقريباً اي منذ سنة ١٦٥٣ الى سنة ١٧٢٠ على منوال لا احسن منهُ حيث كان البطاركة الانطاكيُّون يكرمون الرهبان ويستفيدون من معارفهم واموالهم ومساعدتهم بواسطة الدولة الفرنسويَّة الحامية لهم والصديقة الوحيدة اذ ذاك الدولة العثمانيَّة سيّدة البلاد

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب ن. ص هل يصحّ قول تقويم هاشيت لسنة ١٩٠٠ بان عدد الارمن الكاثوليك يبلغ ١٥٠٠٠٠ وعدد الروم الكاثوليك ١٠٢٠٠٠

عدد الارمن الكاثوليك والروم الكاثوليك

ج فليراجع السائل مقالتنا عن الكثلكة في القرن التاسع عشر في السنة الرابعة للمشرق وفي آخرها جدول لعدد الطوائف الشرقيَّة (ص ١٠٩٦) اخذناهُ عن اصدق الاحصاءات. وكلامنا هناك عن بلاد الدولة العليَّة ليس الَّا

س وسأل من غرزوز جناب جرجي حنَّا سليمان ان نفيدهُ عن عدد الجرائد العربيَّة وعن اسمائها واصحابها ومكان طبعها

الجرائد العربيَّة

ج قد ذكرنا في مقالتنا المعنونة «تاريخ الطباعة في الشرق» الجرائد العربيَّة التي تُطبع في الممالك المحروسة عند ذكرنا كل مدينة ومطابعها. امَّا الجرائد المصريَّة فكثيرة لا يمرُّ علينا اسبوع دون ان نرى جريدة جديدة. وقد ألَّف المستشرق الهُمام المسيو هرتمان كتابًا حديثًا بالانكليزيَّة في الجرائد المصريَّة (The Arabic Press of Egypt) وهو يعدُّ منها نحو المئتين. وكذلك الجرائد العربيَّة في اميركة فانَّها اربت اليوم على الخمسين. ويا ليت فوائدها توازي عددها (!!!)

س وسأل من عيه حضرة القس نعمة الله الشهابي الراهب الحلبي: ١ً ما المانع من ان يتزوج الرجل الاعزب بامرأة اخيهِ المتوفى. ٢ً هل يُعرف اسم امرأة قائين

الزواج بامرأة الاخ المتوفَّى — اسم امرأة قائين

ج نجيب على (الاوَّل) ان الزواج بامرأة الاخ المتوفَّى كان جائزًا في العهد القديم وامَّا في العهد الجديد فذلك محظور والمانع هو القرابة الاهليَّة التي صارت بين الارملة والاخ الاعزب عند زواجها الاوَّل (راجع غوري ٢: ٧٧٣ — ٧٧٦) — نجيب على (الثاني) انَّ التوراة لم تذكر اسم امرأة قائين وانَّما جاء في بعض اقاصيص اليهود وروايات السريان انَّها كانت تدعى اقليميا او قليمة والله اعلم

س وسُئلنا من دوما ما معنى الشطر الثاني من البيت الوارد في الجزء الثاني من مجاني الادب (ص ٢٧):

يا خالط الدين بالدنيا وباطلها ترضى بدينك شيئًا ليس يساوهُ

ولمن يرجع الضمير في ليس والضمير المنصوب في يساوهُ

شرح بيت

ج اذا صحَّت رواية هذا البيت وقد اخذناهُ عن مجموع اشعار طُبع في لبسيك كان المعنى انك باقبالك على الدنيا ترضى بشيء لا يساوي دينك وهو معنى صحيح. فيكون ضمير ليس عائدًا على «شيء» والضمير المنصوب في «يساوهُ» عائدًا الى الدين. ولعلَّ الشاعر كان كتب في الاصل: «ترضى بدينك شيئًا ليس يساوهُ» والمعنى على هـذه الرواية واضح. والضمير في ليس عائد على «شيء» وفي «يساوهُ» على «دينك»

ل. ش.